هدايا المسرة

وثائق تاريخية

فتوحات

ابراهيم باشا المصري

في

فلسطين ولبنان وسوريا

نقلًا عن تقارير انطون كتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا

١٨٣١—١٨٤١

عرّبها وعلق عليها

الخوري بولس قرألي

١٩٣٧

مطبعة القديس بولس في حريصا

كلمة للناشر

بينما كنا نقلب سجلات انطون كتافاكو[1] قنصل النمسا في عكا وصيدا منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى السنة ١٨٤١، المحفوظة في «متحف بونابرت» بالقاهرة، لمنشئه ومنظمه شارل بيك جليياردو[2]، املًا في العثور على معلومات خاصة باسرتنا، التي كانت في ذاك العهد نسيبة اسرة كتافاكو، اذا بنا امام تقارير رسمية حوت فوائد تاريخية مهمة وغير معروفة عن تلك الحقبة

هذه السجلات ثلاثة · احدها ضخم طوى بين دفتيه الرسائل الرسمية، التي كتبها القنصل المذكور بين ٢٥ نيسان ١٨٣١ و١٥ آذار ١٨٤١، ابَّان احتلال المصريين لفلسطين ولبنان وسوريا، الى رؤسائه وزملائه السياسيين، سفير النمسا في الاستانة، وقناصلها في الاسكندرية وبيروت وحلب · اغلبها موجه الى قنصل الشهباء، اليانو بيتشوتو[3]؛ وهي اسرة يهودية تعاقب افرادها على قنصلية هذه المدينة، وجدنا لهم في خزانة ليڤورنو الاميرية عدة تقارير

وقد افادنا المرحوم جليياردو بك انه عثر على هذه السجلات في دار آل كتافاكو بصيدا، وكانت عديدة، لم ينجُ من الحريق سوى هذه · وبعد وفاته نبهنا الحكومة اللبنانية اليها، فابتاعتها من ارملته واودعتها دار الكتب اللبنانية، حيث يتسنى لمحبي البحث مراجعة اصول ما نشرناه وما لم ننشره منها

ولما كانت هذه التقارير ثمينة، ومكملة لما نشرناه عن عهد الاحتلال المصري

---

(١) Antonio Catafago

(٢) Charles bey Galiardo

(٣) Eliano Picciotto

LAU
الجامعة اللبنانية الأميركية
Lebanese American University

RIYAD NASSAR LIBRARY

Lebanese American University
P.O. Box 13 - 5053
Chouran Beirut 1102 2801, Lebanon
Tel: (01) 786456 - 786464

Donated by:
Dr. Antoine Boutros

Antoine Boutros Library

LAU
31 JAN 2018
Riyad Nassar Library
RECEIVED

لبلادنا في كتابينا « حروب ابرهيم باشا المصري في سوريا والإناضول »، نقلًا عن مفكرة القس انطون شراباتي، و « الامير بشير الشهابي الكبير »، نقلًا عن تاريخ الامير حيدر شهاب، رأينا ان نقتطف منها ما يستحق تسجيله على صفحات التاريخ بخصوص « فتوحات ابرهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا »، والانظمة التي ادخلها فيها، وحالتها التجارية والزراعية والعسكرية والنفسية، ولاسيما السياسية، التي تجلت بمظاهر المؤامرات، والاحتجاجات والثورات، ونزعات الدول المعاضدة لهذا الاحتلال والمضادة له . فيحيا القارئ، عند مراجعة هذه التقارير، حياة هذه البلاد في السنين العشر التي كتبت فيها، ويرى الاشخاص والشعوب والدول كلًا يمثل دوره على هذا المسرح الجديد، الذي اوجدته مطامع محمد علي باشا، الرامية الى انشاء امبراطورية عربية، تحتل عرش آل عثمان، وتضارع اكبر الدول الاوربية قوة ونظاماً ورقياً . وهو حلم جميل واسع الآفاق، كاد ذلك الرجل العظيم يحققه، لولا ان عماله افسدوا عليه خطته بسوء تصرفهم . فكرهت الرعايا حكمه، وتسنى لانكلترا، الواقفة وراء حجاب تركيا، تعزيز روح الاستياء والكره، وتأجيج نار الثورات، وتوحيد مطامع الدول الاوربية . حتى اضطر خديو مصر ان يتركوا هذه البلاد تعود برضاها الى النير التركي، الذي تعودته اربعة قرون

والتقارير التي نحن بصددها مكتوبة باللغتين الفرنسوية والايطالية، عربناها للقراء حرفياً، كما تقضي اصول نقل الوثائق التاريخية، مما ابعدنا مراراً عن روح اللغة العربية . ووضعنا لكل وثيقة رقماً وعنواناً، وقسمنا الطويل منها الى اقسام، تسهيلًا على القارئ

ولا يخفى ان صاحب هذه التقارير كان معاصراً للحوادث التي سردها، وشاهد عيان لاكثرها . تحققها بنفسه، او بواسطة من يثق به، كما تتطلب وظيفته . تولى قنصلية النمسا في عكا ثماني وعشرين سنة . ولما دخلت الجيوش المصرية فلسطين انتقل الى الناصرة وظل فيها حتى احتل المصريون عكا . فوجدها قد امست خراباً من قنابل الهاجمين . فتحول الى صيدا، بين فلسطين وسوريا، يراقب تطور الاحتلال في كلا القطرين . وصار على مسافة قريبة من قصر الامير بشير الشهابي في بيت الدين الذي امسى محور السياسة المصرية في الامبراطورية الجديدة

فقد كان هذا الامير الكبير ساعد محمد علي باشا الايمن في هذا المشروع الخطير،

وعلى اتفاق سابق معه، راجع الى السنة ١٦٢٢، التي قصد فيها الى القاهرة، ليتوسط في اعادة عبدالله باشا الى ولاية عكا

ذكر الامير حيدر في تاريخه ان محمد علي باشا لدى مواجهته الامير عرفه للحضور بقوله : « هذا كبير عشاير جبل لبنان . تحت يده ماية الف مقاتل[1] » . وان الامير في اثناء اقامته في القاهرة كان « يتردد عليه في كل نهار ويحضر امامه حسبما امره » . واردف بقوله : « ان الوزير ارسل مركبين محملين ذخيرة الى عكا وافهم عبدالله باشا انه بعد اربعين يوماً ان لم تحضر الاوامر بالعفو ورجوع المنصب اليه كما كان فتتوجه العساكر من مصر لطرد المحاصرين عكا[2] » . مما يدل على ان محمد علي باشا كان يأمل من توسطه في امر عبدالله باشا اما الاستجابة فتعظم هيبته في سوريا وتجعل له يداً للتدخل في شؤونها، واما الرفض فتسنح له الفرصة بضمها الى ولايته، لاسيما وان الدولة كانت منهمكة في حرب اليونان

وجاء في « تاريخ الاعيان » لطنوس الشدياق، المعاصر للامير بشير والمطلع على كثير من اسراره، قوله في كلامه على مواجهته لمحمد علي باشا : « ثم صرف العزيز الحضور وامر بابقاء الامير وحده، واسرَّ اليه جميع ما يرغبه منه في جبل لبنان من الخدمة عند الحاجة . لانه كان مزمعاً ان يتملك بلاد الشام بالسيف[3] » . ولما احتل المصريون لبنان، دون ان يلقوا ادنى مقاومة من جيشه او من اهله، لفت صاحب هذه التقارير نظر دولته بقوله : « هذا يدل على ان الامير بشير على اتفاق سابق مع محمد علي باشا »

والحق يقال، كان اجتياح الجيش المصري لفلسطين وسوريا كالسيل، ينهمر بشدة ويمر بسرعة ويرتمي في اللجة دون ان يترك وراءه اثراً ثابتاً . فقد كانت الثورات تقوم وراءه، فيسرع الامير برجاله الى اخمادها واعادة هيبة المصريين اليها وتوطيد سلطتهم، كما فعل بثورات صفد، وطرابلس وعكار ونابلس وحوران . فولاه محمد علي باشا « حكم ومراقبة كل المدن البحرية من اللاذقية حتى يافا، بما فيها صفد وطبريه والناصرة وملحقاتها »، كما ستقرأ في هذه التقارير

(١) كتابنا « الامير بشير » ج ١ : ٣٩
(٢) كتابنا « الامير بشير » ج ١ : ٤٠
(٣) كتاب الاعيان في جبل لبنان ص ٥٣٩

وبقي ضلع المسلمين واغلب الدروز مع الدولة العثمانية، لتضامن الاولـين مع السلطان المعتبر عندهم خليفة للرسول، ولكره الآخرين للامير بشير، لاسباب مفصّلة في تاريخ الامير حيدر الذي نشرناه . وكان المسيحيون، ولاسيما اللبنانيين، مرتبطين سرًّا مع الدولة المصرية، معلقين عليها الآمال في التخلص نهائيًا من النـير العثماني ودخول عهد يأمنون فيه على ارواحهم واموالهم، ويتمتعون بالحرية الدينية والمساواة المدنية

وقد عثرنا بين اوراق خزانة بكركي الخطية على عدة وثائق تدعم رأينا هذا نكتفي هنا بنشر بعضها قبل الولوج الى تقارير السجل

حريصا في ٢٩ ايلول ١٩٣٧

الخوري بولس قرألي

فهرس الكتاب

		صفحة
	كلمة للناشر	ا
	فهرس الكتاب	هـ
	وثائق خزانة بكركي الخطية	
١	تهديد الامير بشير	١
٢	تطوع الدروز في الجيش العثماني	٢
٣	حث البطريرك على الكتابة	٣
٤	تجنيد اللبنانيين	٤
٥	سقوط عكا	٥
٦	التهنئة بسقوط عكا	٦
٧	حث المطارين على تجنيد رعاياهم	٧
	وثائق سجل انطون كتافاكو	
١	دخول الحملة المصرية فلسطين	٨
٢	حصار عكا	١١
٣	اليهود والمسيحيون	١٥
٤	حصار عكا وثباتها	١٦
٥	حال عكا في اثناء الحصار	١٦
٦	ثبات عكا واميـال المسلمين والمسيحيين	١٧
٧	بيلوردي السلطان والحالة في سوريا	١٨
٨	تشديد الحصار على عكا	١٩
٩	سقوط عكا	٢٠
١٠	خروج العمارة العثمانية ـ فتح دمشق	٢١
١١	سكان سوريا والحملة المصرية ـ الهجوم الاخير على عكا	٢٢
١٢	سقوط حمص ونفور السكان من الحكومة المصرية	٢٦
١٣	الرسوم والحكومة المصرية	٢٧
١٤	حماية النمساويين	٢٨
١٥	العمارتان المصرية والعثمانية	٢٨
١٦	فتح حلب	٢٩
١٧	فتح حلب وبيلان . آمال السوريين	٣٤
١٨	موظفو الحكومة المصرية	٣٥
١٩	تجارة صيدا	٣٨
٢٠	احتكار الحرير والقطن . التجنيد	٣٨
٢١	تنصيب عبدالله باشا على ولاية ادرنه	٤١
٢٢	ترميم عكا . الجاسوس التركي	٤١
٢٣	زيارة ابرهيم باشا للامير بشير	٤٢
٢٤	ثورة فلسطين	٤٢
٢٥	وصول محمد علي باشا الى يافا . توليته الامير بشير على ثغور سوريا وفلسطين	٤٥
٢٦	اخماد العصيان	٤٦
٢٧	معركة حبرون	٤٨
٢٨	معاقبة الثوار ومكافأة اللبنانيين	٤٩

		صفحة
٢٩	سفر الامير خليل الى اللاذقية	٥٠
٣٠	اسرة باحوث ونظام الدوائر المصرية في سوريا	٥١
٣١	التجند في لبنان	٥٢
٣٢	احتلال الجيش المصري للبنان	٥٢
٣٣	نزع سلاح اللبنانيين	٥٣
٣٤	الزلازل في سوريا	٥٤
٣٥	الزلزال . تجارة حيفا وصيدا	٥٥
٣٦	خسائر الزلازل في سوريا وفلسطين	٥٦
٣٧	مطالب محمد علي باشا من السلطان	٥٧
٣٨	التجند وطريقته	٥٨
٣٩	ثورة حوران	٥٩
٤٠	انضمام دروز لبنان الى الثوار	٦٢
٤١	تسليم المسيحيين في لبنان	٦٣
٤٢	قمع الثورة	٦٣
٤٣	معاكسة ابرهيم باشا للتجار	٦٤
٤٤	طريقة التعدي على الاوربيين	٦٩
٤٥	استمرار الاضطهاد . الخوف من الثورة	٧١
٤٦	اضطهاد لابي . الحرب مع الدولة العثمانية	٧٢
٤٧	جهود السيد لابي في تسوية المشكلة	٧٣
٤٨	الثورة في لبنان	٧٦
٤٩	هجوم الثوار . فظائع الارناؤوط	٨٠
٥٠	حبوط الثورة	٨١
٥١	المذابح والنفي	٨٤
٥٢	معاقبة الثوار	٨٥
٥٣	عودة الثورة	٨٧
٥٤	بوادر الحرب	٨٨
٥٥	الاستعدادات الحربية	٨٨
٥٦	ضرب صيدا	٩٠
٥٧	تطوع المتاولة	٩٢
٥٨	نفي الامير بشير	٩٣
٥٩	سفر الامير بشير	٩٤
٦٠	جلاء ابرهيم باشا عن سوريا	٩٥
٦١	تهمة انطون كتافاكو	٩٥
٦٢	اغنية تاريخية	٩٦

١ ـ تهديد الامير بشير ـ ورقة سرية مرفوقة بكتاب الى البطريرك يوسف حبيش الماروني[1]
كانون الاول ١٨٣١

حاوي خير . بوقته حضر جملة تحارير من الاوردي من سعادته[2] والباين المادة قريبة النهاية لانهم مباشرين بعمل لغوم وبنهايتهم يصير الانتهاء

ثم انه كان حضر لسعادته كتابة من محمد علي زَعل كلي لعاقته عن التوجه للاوردي ومظهر له ان لم يحضر يكون سبب خراب بلده وادماره وكلام لا يطاق استماعه توبيخ وتهديد . وهذه الكتابة وصلت لسعادته بعد وصوله[3] بخمسة ايام . فاعرض له عن حضوره وتعذر له عن عاقته وحضر جواب مديح وشكر ورفع مقام بالكتابة خلاف العوايد ومحرر له الاخ المحترم[4] . وارسل للامير محمود[5] جوز طبنجات وسيف مذهبين . وان شاء الله بدعاكم كل شيء ينتهي بخير ومن نحو اخبار الشام مرتاحة . وجناب افندينا الامير خليل يهديكم وافر السلام . واذا كان مجدّ اخبار جديدة وردتم تكرموا

---

(١) ١٨٢٣ـ١٨٤٥ وكان ساكناً في دير آل حبيش بساحل عَلما (كسروان) ويظهر ان التحرير صادر من دير القمر او من بتدين

(٢) الامير بشير في عكا

(٣) الى عكا

(٤) تجد هذا التحرير في اول الجزء الثاني من تاريخ الامير بشير الذي نشرناه

(٥) ابن الامير خليل ابن الامير بشير

بها نرجو كما اعرضنا سابقاً تكون الكتابات عن يد الخوري اسطفان[١] ببيروت اما عن يد المدبر بالمحروسة[٢]

٢ ـ تطوع الدروز في الجيش العثماني ـ عن ورقة سرية الى البطريرك يوسف خبيش
اواسط كانون الاول **١٨٣١**

وبخصوص تخبيركم عن الضنية وعكار[٣] وانه ربما لا يتوجه لعند الباشا الا محمود بن شديد وان البقية مرتبطين مع بربر[٤] جنابه افهمنا ان هذه المادة صارت بخلاف ظنكم لان محمود المذكور هو الذي ربط ذاته مع بربر والامير خليل وعمه . والبقية بعد ان كانوا في طرابلوس طلبوا اذناً للخروج لكي يصدوا اهل بلادهم عن التوجه لعند الوزير[٥] فتوجهوا كلهم لعند الوزير المذكور وباقي محمود فقط

والمستجد الان اولا اللغوم الذين شرحنا لكم عنهم قبل تعطلوا وما نفعوا شي ابداً سوى انهم فتحوا لغم ردموا الخندق فقط

ومن نهار السبت الماضي لتاريخه[٦] الضرب مشتغل عـلى عكا لينفتح درب للهجمة والاتكال على الله ودعاكم[٧] . حضر امر من

---

(١) حبيش

(٢) القس انطون الشراباتي مرشد الامير بشير . راجع ج ١ ص ٣ من كتابنا «حروب ابرهيم باشا في سوريا والاناضول» وسنشير اليه بجرف ح ويعني بالمحروسة بتدين

(٣) جبل وسهول في شمال لبنان

(٤) مصطفى بك بربر متسلم طرابلس من قبل الحكومة المصرية

(٥) عثمان باشا الذي جاء للاستيلاء على طرابلس . راجع اسماء المنضمين اليـه من دروز لبنان لمحاربة المصريين ح ١ : ٢٠

(٦) ابتدأ حصار عكا في ٦ كانون الاول سنة ١٨٣١

(٧) هذا يدل على ان ضلع الاكليرس الماروني كان مع المصريين

سعادته حتى جنابه يدبر رجال دروز ونصاره تحت تعيين كل يوم ٢ و٣ ونصف[١]

٣ ـ حث البطريرك على الكتابة ـ عن ورقة سرية الى البطريرك يوسف حبيش[٢]
٢٠ كانون الثاني **١٨٣٢**

وربما فهمتم انه قادم وزير من الدولة الى طرابلوس لزم صدور الامر بتوجيه عساكر صحبة الامير خليل والامير عبدالله لعنده . والاوردي الان[٣] مباشرين بعمل لغومه للسور متى انتهوا تصير الهجمة . ونهار تاريخه[٤] توجه الامير خليل والامير ملحم ابن الامير قاسم

والقبرصي حين حضر كنا عند المطران مكسيموس لانه ارسل عزمنا . وبرجوعنا افهمنا جنابه انه ارسل لغبطتكم الجواب . فنرجو سرعة ارسال الجواب الذي يجي من حلب[٥] . واذا حسن عندكم

---

(١) لنقل الذخيرة من صيدا الى زحله حيث اقيم مستودع للجيش المصري كما سترى في الوثائق الاتية

(٢) يرجح من مضمون هذه الورقة السرية انها للقس انطون شراباتي، صاحب مفكرة حروب ابرهيم باشا التي نشرناها، او لرئيس دير سيدة التلة في دير القمر . وهكذا قل عن الرسالتين التاليتين

(٣) العسكر المحاصر في عكا

(٤) اذا كان يعني كما هو الارجح توجه الامير خليل الى طرابلس فتاريخ الرسالة ٢٠ كانون الثاني سنة ١٨٣٢

(٥) هذا يدل عـلى ان البطريرك حبيش كان يستعلم من السيد بولس اروتين مطران حلب الماروني عن حالة الجيش التركي والدروز المنضمين اليه ويبلغ هـذه المعلومات الامير بشير ليبلغها بدوره ابرهيم باشا

ارسال مكتوب سؤال خاطر للمعلم بطرس[1] وضمنه اعراض لسعادته[2] سؤال خاطر وانكم دائماً مقيمين بمقتضى وظيفتكم بتقديم كلما يجب[3] لان هذا لازم ومناسب. واذا حسن ايضاً ارسال تحرير السؤال خاطر لحنا البحري وضعوه ايضاً ضمن تحرير المعلم بطرس وارسلوا الجميع لنوجههم صحبة امين[4]. وسيادة المطران بطرس[5] نحن عزمناه عن امر جنابه[6]

٤ ـ تجنيد اللبنانيين ـ عن ورقة سرية الى البطريرك يوسف حبيش

حوالي اوائل ايار ١٨٣٢

وبخصوص الاخبار البائن البوستة متصلة للمحروسة[7] وطالب منه الوزير عسكر ستة الاف . ترتب ثلاثة الاف صحبة جناب افندينا الامير خليل والامير افندي من البلاد جميعه عدا كسروان والمتن . وتوجيه جنابهم مع العسكر الى اللادقية[8]. واما الظن بان المتن وكسروان لا بد يُطلب منهم الكمالة ويتوجهوا الى غير محل

(١) بطرس كرامة كاتم اسرار الامير بشير

(٢) الامير بشير

(٣) لمصلحة الحملة المصرية

(٤) الى عكا حيث كان الامير بشير يشترك في حصارها

(٥) لا نعرف في ذلك العهد اسقفاً مارونياً بهذا الاسم سوى المطران بطرس ابي كرم مطران بيروت ١٨١٩_١٨٤٤

(٦) الامير خليل

(٧) اي من عكا الى بتدين

(٨) هذا يؤيد ما جاء في كتاب حنا بك البحري الذي سننشره في ما يلي

ما ظهر الان، والظن انه للشام . وطالب من حاصبيا ووادي التيم الف يتوجهوا للشام ومنها لحمص هذا اكيد. اما الاخبار الطايشه انه يوجد عساكر من نواحي الاستانة وعمارة بحراً هذه ليست محققة

٥ ـ سقوط عكا ـ من الخواجه يوحنا البحري الى البطريرك يوسف حبيش

٢٣ ايار سنة ١٨٣٢

قدس قداسة سيد السادة الجليل المفخم ادام الله تعالى غبطته

غب لثم الاقدام الطاهرة والتماس الدعوات الصالحة نعرض انه بحسب الانتصار المعلن من الملك القهار قد تيسر وتسهل فتح عكه والاستيلاء عليها كما شاع ذلك وذاع والان فالاوردو المظفر المنصور متوجه بعناية الملك القدوس لجهة الشام وصدر امر سعادة افندينا ولي النعم المعظم والاسد الجواد المفخم الى سعادة الامير بشير الافخم بان يجمع جميع رجال الجبل من النصارى والدروز من كلمن يحمل السلاح يسيروا بخدمة دولته الشريفة صحبة جناب الامير خليل المحترم وسعادة الامير المشار اليه وجه اوامره لجناب ولده الامير امين المحترم بذلك الخصوص

وكذلك صدر مرسوم شريف من لدن العناية الاصفية الى مشايخ العقل والعقال الذين بالجبل بانهم لا يتأخروا عن هذه الخدمة وحيث معلوم صدق خدامة اخوتنا النصارى فما اقتضى اصدار مرسوم لان الامر لا يحتاج اليه انما وجب على تلميذكم هذا بان يحرر لغبطتكم بواقع الحال لكي تشهروا امركم على جميع اخوتنا المشايخ ابناء رعيتكم انهم حالاً يسارعوا باجمعهم من كلمن فيه

الكفاية لهذه الخدمة الشريفة من دون تاخير ولا توقيف ليزدادوا بذلك ظناً حسناً كما لا يغرب ذلك عن النيرة الشفافة وبحوله تعالى ان هذه الخدامة ما فيها سوى الراحة وانما مرغوبنا نوالهم بياض الوجه كما تقتضيه الاخوية المسيحية وارجو عدم هجري من ضمير الرضى الاقدس مع دوام تشريفي بمراسيم بركاتكم السنيه وادام الله بقاكم

من تلميذكم

في ٢٣ ايار سنة ١٨٣٢

يوحنا البحري

(الختم)

٦ ـ التهنئة بفوط عكا ـ من البطريرك يوسف حبيش الى يوحنا البحري

حوالي ١ حزيران ١٨٣٢

البركة الرسولية تشمل جناب حضرة ولدنا الاعز المحترم الخواجه ابي سليم يوحنا البحري المحتشم باركه الرب باغزر بركاته العلية امين غب وفور الوجد والهيام الى مشاهدتكم الكريمة في كل خير وعافية انه اذ كنا بحال الطرب والحبور من بزوغ انوار البشرى السنية التي انوارها عمت الورى وذلك جاد به الباري تعالى بالانتصار الفريد لسعادة ولي النعم المعظم والاسد الجسور المفخم ايد الله ايام دولته الزاهرة للدوام الذي عنه قد قدمنا لجنابكم التهاني بتحرير [خصوصي] الا قد وفد الينا تحرير جنابكم المرقوم في ٢٣ ايار المفصح عن هذا الانتصار الفريد فحمدناه تعالى جل شانه على هذه المنة العلية وكررنا ادا الدعوات الخيرية لدى باري البرية بتاييد ورفع شان هذه الدولة السنية

ثم وكامل ما نوهتموه لجهة صدور الاوامر الشريفة بطلب رجال

بلادنا ليتوجهوا بخدامة سعادته الشريفة للشام واننا ننبه على جميع اولادنا ابناء رعيتنا بانهم حالا يسارعوا باجمهم من كل من فيه الكفاية لهذه الخدمة الشريفة من دون تاخير ولا توقيف فجميع ذلك بقي معلومنا وحالا بادرنا من دون تاخير برقم كتابات عمومية للجميع حسب المطلوب والذي نعلمه بان الجميع مستعدون لهذه الخدمة الشريفة وبحوله تعالى مع صفو خاطر سعادة صاحب السعادة لا يحصل تاخير وتوقف عن هذه الخدامات التي هي من الفروض المتوجبة هذا ما لزم شرحه لجنابكم ونؤمل دائماً لا تحجبوا عنا بشاير صحتكم وتوفيقكم مع كلما يبدو ويلزم والبركة الرسولية تشمل جنابكم

٧ ـ حث المطارنة على تجنيد رعاياهم ـ من البطريرك يوسف حبيش الى المطارنة

حوالي ١ حزيران سنة ١٨٣٢

ايها الاخ المحترم

نخبر حضرتكم بان بتاريخه حضر لنا تحرير من جناب ولدنا الخواجه يوحنا البحري المحترم واصل لكم طيه صورته تتطلعون عليها في خير وحيث ان هذه الخدمات يقتضي تتميمها بما انها تأول لانشراح الخاطر الشريف ويحوز بها الجميع بياض الوجه نرغب من خوتكم ان تعلنوا ذلك لجميع اولادنا ابناء رعيتكم وتحثوهم ليسارعوا باجمهم كلمن فيه الكفاية لهذه الخدمة الشريفة حسبما هو مدون بالتحرير المرقوم . نحن جاوبنا حضرته باننا وجهنا كتابات كافية بهذا الشأن وعلى كل حال ستتوجه اوامر خصوصية بهذا الصدد من جناب افندينا الامير امين المفخم حسبما موريه سعادته فخوتكم

حرسوا الجميع ليكونوا مستعدين لتتميم هذه الاوامر الشريفة بغير توقف وحيث اننا نعلم بان الجميع لا يتأخرون عن كلما به انشراح الخواطر الشريفة فلا يلزم لحوتكم طول الشرح . البركة الرسولية

واليك الان الوثائق المعربة عن سجل انطون كتافاكو :

١

دخول الحملة المصرية فلسطين

عن الناصرة في ٢١ تشرين الثاني ١٨٣١ . (مترجم عن الفرنسوية ص ١٦-١٨ من السجل)

الى البارون دوتنفل[1] سفير النمسا في الاستانة

سيدي

١ – اجتياح الجيش المصري لمدن فلسطين – لي الشرف ان ابعث اليكم بنسخة من تقريري السابق المؤرخ في اول ايلول الماضي، وان اعلمكم ببعض التفصيلات عن الحملة المصرية. فالاشاعات التي راجت عنها منذ ستة اشهر لم تعد الان من التخمينات، لان الجيش المذكور ترك اخيراً العريش، حيث كان محتشداً ودخل فلسطين رأساً . وقد بدأ قسم منه منذ عشرين او خمسة وعشرين يوماً بالاستيلاء على غزه دون ان يلقى مقاومة . ومنذ بضعة ايام ظهر قسم آخر امام يافاء ففتحت له ابوابها . حيفا وثغرها هما الآن في يد جيش محمد علي وفي اول الجاري دخلها نحو ستة او سبعة آلاف مقاتل او يزيد، مع عدد من المراكب اغلبها حربية. وقد وصل اليها ابرهيم باشا، الذي

(١) D'Ottenfel

اشترك في حرب الموره، على مركب مسلح بثمانين مدفعاً . وهو الذي يقود هذا الجيش المؤلف من ٣٢ الفاً، على قول بعضهم . وينتظر الآن وصول ابرهيم باشا الصغير الى حيفا مع عباس باشا وبقية الجيش والمراكب المتأخرة . وحينئذ يتجه الجميع نحو عكا . وستبدأ المناوشات على ما اظن قبل عشرة ايام، ويقال ان المدينة ستحاصر براً وبحراً

٢ – موقف عبدالله باشا والي عكا – كل هذا يحملنا على الظن ان محمد علي باشا يعمل باذن السلطان وامره . اما عبدالله باشا فيدعي عكس ذلك، وقد اصدر امس بيلوردي بهذا الخصوص ونشره في كل المقاطعة التابعة له. وقد تمكنت من قراءته فاذا هو يشهر بمحمد علي باشا كعاصٍ على الباب العالي، ويصف حملته بانها غير مشروعة، ويقول ان قبطان باشا سيصل بعمارته بعد بضعة ايام ليدافع عنه وعن المدينة . ويستبعد بعضهم ان يقطع خديوي مصر علاقاته مع الباب العالي بهذه الحملة، وانا قريب الى هذا الرأي . ولكن رباطة جأش عبدالله باشا ومنشوراته والوسائل التي اتخذها للدفاع تحملنا على ان ننتظر بغاية القلق نهاية هذه الرواية، طالبين الى الله ان لا يسمح بان تتحول الى مأساة، يصبح فيها سكان هذه المدينة المساكين ضحيةً لهذه الضربة التي تهددهم

٣ – هرب القنصل من عكا – وقد تركتُ في عكا كل اثاثي وقسماً كبيراً من منقولاتي . ويعلم الله ما يصيب بيتي ومخازني ان اقدمت المدينة على مقاومة الانذار الذي سيوجه اليها

وانا على كل حال اعدّ نفسي سعيداً بخروجي منها . وقد حاول

عبدالله باشا كثيراً ان يبقيني بالقرب منه وارسل الي لهذا الغرض في الايام الاخيرة تترين[١] الواحد تلو الآخر . وكانت رسائله في غاية من الادب . ولكنني اعرف ان صاحبنا لا يحجم عن ان يتخذ اشد الوسائل ظلماً ليبلغ غرضه مني . وقد صدق ظني لان بعض المقربين اليه اكدوا لي انه سيبعث من يأخذني قسرًا ويحرق دير الفرنسيسكان الذي لجأت اليه، ان رفضتُ العودة الى عكا .

فاجبته « انه يصعب علي جداً تلبية طلبه في الاحوال الحاضرة . ولكن اذا كان حضوري ضرورياً جداً ساتوجه اليه عند اول اشارة تبدو منه » . وتعرف يا سيدي انه لا يمكنني ان اضع نفسي في القفص واكون تحت رحمة رجل خبرتُ منه في الماضي استبداداً شديداً . فرأيت بعد التروي ان احسن طريقة لنجاتي ان اترك عائلتي في الدير وابتعد عن الناصرة . وفعلاً تركتها في اليوم نفسه مستصحباً اولادي الثلاثة ومكثت عشرة ايام في السامرة . وكنت مضطراً الى البقاء هناك لو لم يصل الجيش المصري الى حيفا . واعتقد الان انه لم يعد علي خوف من عبدالله باشا او من ذويه

يقال ان عباس باشا بعد الاستيلاء على عكا سيكون حاكماً عليها وعلى سوريا كلها . وان حكومة دمشق جعلت لابرهيم باشا وان ابرهيم الآخر سيولى حلب

٤ – ثورة دمشق – ولا بد انكم سمعتم بالثورة العظيمة التي شبت في دمشق[٢] وهلك فيها الباشا مع كثيرين من ذويه، فقد

(١) اي رسولين ومفردها تتر

(٢) راجع تفاصيل هذه الثورة في « المذكرات التاريخية » التي نشرها حضرة الخوري قسطنطين الباشا سنة ١٩٢٦

تحولت الى شكل حرب اهلية . واعتقد ان هذه المدينة العظيمة ستبقى زمناً طويلاً متأثرة من الخراب الذي لحقها من جراء هذه الثورة، وقد التهمت النيران ثلثها

اما الهواء الاصفر فقد زال والحمد لله . واقبلوا في الختام فائق احترامي

٢

حصار عكا

الناصرة في ١٦ كانون الاول ١٨٣١ . (عن الايطالية ص ٢٢-٢٦) . عن طريق بيروت

الى الكافالير اليانو ده بيتشوتو[١] قنصل النمسا العام في حلب

سيدي القنصل

١ – دعوة ابرهيم باشا اياه – الحاقاً بتقريري المؤرخ في ٢١ تشرين الثاني الماضي جئت بهذه الرسالة لاتمم ما ابديت لكم من المعلومات عن الحملة العسكرية المصرية التي ظهرت اخيرًا في هذه الجهات . فابدأ باعلامكم اني قصدت حيفا في يوم ٢٤ الماضي، بناء على دعوة وردتني من صاحب السعادة ابرهيم باشا قائد الحملة المذكورة، وبعد ان قضيت فيها وفي الكرمل ثلاثة اسابيع عدت الى هنا في هذا الشهر

٢ – وصف الجيشين المصري والعكاوي – ان الجيش المصري مؤلف من نحو ثلاثين الف مقاتل، منهم خمسة آلايات سواري[٢] اي ثلاثة رماحة وآلايان صيادة، ومعهم ثلاثة آلاف خيال من البدو المصريين.

(١) (Eliano de Picciotto) وكانت قنصلية عكا تابعة له

(٢) هواري

اما العمارة فمؤلفة من سبع قطع كبيرة تحمل كل منها ستين مدفعاً، ومن ست نقاقير وعشرة مراكب شراعية صغيرة[1] واثني عشر قارباً مسلحاً بالمدافع . ومع الجيش من خمسين الى ستين مدفعاً كبيراً للحصار و١٧ هاوناً لقذف القنابل

ويُظن ان في عكا نحو اربعة آلاف جندي بين مشاة وفرسان وطوبجية وان عبدالله باشا قد سلح جميع سكانها الاتراك[2]

٣ – الزحف على عكا – في ٢١ الماضي توجه ابرهيم باشا من حيفا وفي صحبته ثلاثة آلاف من البيادة المصريين و٥٥٢ هواري، كانوا في جيش عبدالله باشا، والآن في خدمة ابرهيم باشا . وكانت غايته استكشاف موقع عكا . ولما بلغ آلاي الفرسان عكا اصطدم بجيش عبدالله باشا ونازله في موقعة صغيرة لم يشترك فيها المشاة . وفي ٢٥ تشرين الثاني وصل الفريق ابرهيم باشا الصغير الى حيفا ومعه خمسة عشر الف جندي مصري بين بيادة وخيالة وطوبجية . وبعد يومين قصد القائدان المذكوران الى عكا ومعهم خمسة عشر الف رجل من المشاة وآلايان من الرماحة والف بدوي خيال وفرقتان من البلطجية[3] وفرقة من الطوبجية وعدد كبير من مدافع الميدان والحصار . ولم يبقَ في حيفا سوى ثمانمائة جندي

٤ – هجوم جنود عبدالله باشا – وفي ٢٨ منه تبادل الجيش المصري

(١) Brick

(٢) المسلمين

(٣) Zappatori

مع المدينة وجنود عبدالله باشا بعض الطلقات . ثم اشتد الضرب قليلاً في الايام التالية

وبينما كان المحاصرون منشغلين في حفر الخنادق وتنظيم البطاريات خرج من المحاصَرين، الساعة الثامنة من صباح يوم ٢ الجاري، نحو الف مقاتل بين مشاة وخيالة وهجموا بجسارة عظيمة فوصلوا الى اول بطارية للعدو . وهناك دارت معركة يشيب لهولها الاطفال اطلقت في أثنائها كل البطاريات والقلعة ناراً حامية . فاسرع الجنود المصريون الى محل الموقعة وتمكنوا من استرجاع مدفعين كان جنود عبدالله يجرونهما . وبعد قتال دام ساعتين سالت فيهما الدماء انهاراً عاد المهاجمون على اعقابهم الى المدينة بنحو عشرين اسيراً من المصريين . وهم جزء من اورطة اسرت بتمامها، فاستعادتها فرقة الخيالة

وفي ٦ الجاري الساعة الثامنة صباحاً وصل الى المعسكر الآلاي السادس والقى المحاصرون على المدينة نحو مئة قنبلة . وقد بدأ اطلاق النار عند الظهر واستمر طول الليل، فلم تجب المدينة بطلق واحد

٥ – ضرب العمارة لعكا – وفي ٩ الجاري صدر الامر الى قسم من العمارة المصرية ان يترك حيفا ويقصد عكا لضربها من البحر . وفي الساعة الثامنة صباحاً ظهرت امام ميناء عكا سبع مدفعيات واربع نقاقير ومركبان شراعيان مع بعض القوارب المسلحة، فرست خمس مدفعيات منها ازاء الميناء والبقية وقفت جهة الغرب . وفي الحال بدأت الحرب باطلاق المدافع من كل جهة . وقد اشتركت فيه كل بطاريات المعسكر . ولما كنت احد المشاهدين ففي استطاعتي ان أؤكد لكم ان النار استمرت الى الساعة الرابعة مساء، وان المدينة

دافعت عن نفسها ببسالة، مع ان نارها لم تكن حامية كنار المحاصرين الذين القوا عليها في ذلك اليوم عشرة آلاف قنبرة[١] وثلاثة آلاف قنبلة . وقد اطلقت احدى البوارج وحدها ٣٧٠٠ طلق . ولا شك ان المدينة خسرت كثيراً في هذا اليوم ولكن نارها عطلت البوارج الخمس وافقدتها، كما اكد لي بعضهم، ثلاثين قتيلا و١٣٥ جريحاً، وتكسرت ثلاث صواري . وعلمت ان احد القوارب المسلحة قد غرق، وذهب احد المهندسين الانكليز ضحية سوء رمايته

وفي اليوم نفسه وصل عباس باشا الى معسكر عكا مع آلايين من السواري، احدهم من الرماحة والآخر من الصيادة واكثر من الف بدوي راكب

٦ – الحصار – ومنذ ٩ الجاري الى الآن يكتفي المحاصرون بالقاء القنابل على المدينة الى ان يتسنى لهم استعمال مدافع الحصار وفتح ثغرة في السور

هذه هي المعلومات التي رأيت من واجبي ان انقلها الى سعادتكم آملاً ان تحوز القبول لديكم . وفي رأيي ان الحصار سيطول ولكن المدينة لا تقوى على مقاومة جيش جرار مجهز بطريقة تمكنه من افتتاحها والاستيلاء على اية مدينة اخرى لو شاء . وانا واثق الآن ان ابرهيم باشا يعمل ضد ارادة الباب العالي العثماني . ومهما يكن الحال فمدينة عكا آئلة لا محالة الى الخراب، وسيذهب سكانها ضحية هذا النزاع . ولقد قطعت الامل مما تركته فيها، في بيتي وفي مخازني، واصبحت شديد القلق على سجلاتي واوراقي الخصوصية . واقبلوا في الختام مزيد احترامي

(١) كلة مدفع (Balla)

٣

اليهود والمسيحيون

الناصرة في ٢٢ كانون الاول ١٨٣١ . (عن الفرنسوية ص ٢٤)

الى البارون دوتّنفيل في الاستانة

١ – قلق الرعايا اليهود – انتهز هذه الفرصة لاوصيكم بامر اليهود الكثيرين من رعايا النمسا القاطنين في صفد وطبريه . لاني علمت انهم قلقون على ارواحهم واموالهم منذ ظهور الحملة المصرية . ولقد فزت ببيلوردي شديد اللهجة في سبيل حمايتهم وبعث ابرهيم باشا طابوراً من جنوده الى صفد وطبريه لاعادة الامن والطمأنينة اليهما

٢ – اعفاء ديورة النصارى من الضرائب – ويسرني ان ابشركم انه اصدر امراً باعفاء جميع ديورة اورشليم، لاي طائفة كانت، من كل الضرائب والرسوم التي كانت تثقلها سنوياً . فدير الفرنسيسكان هنا [الناصرة] كان يدفع سنوياً عشرة الاف غرش تركي لحاكم عكا . وقد الغي هذا الرسم بموجب بيلوردي خاص ارسله ابرهيم باشا اخيراً الى رئيس هذا الدير[١]

٣ – تحدي ابرهيم باشا الباب العالي – وفي اثناء مكوثي في حيفا تأكد لي من محادثتي مع كثيرين من الافرنج الموظفين في الجيش المصري ان ابرهيم باشا يقوم بهذه الحملة على سوريا ضد ارادة الباب العالي

(١) راجع مجموعة لمنس (Lemmens) الفرنسيسكانية ٢ : ٢٣٦

٤

حصار عكا وثباتها

الناصرة في ١٧ كانون الثاني ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٣٢)

الى الكاڤالير أشربي دي كستلجفريدو[1] قنصل النمسا في الاسكندرية

... منذ ذلك الحين الى الآن لا شغل للجيش الذي يحاصر عكا سوى قذف القنابل والقنابر على المدينة بكمية عظيمة . فكابدت عكا خسائر جسيمة وسقطت اسوارها في مواضع كثيرة . ومع ذلك فعبدالله باشا مثابر على الدفاع بعزم شديد . وارجح ان المحاصِرين سيلجأون في آخر الامر الى اشعال لغم ما . فتروني انتظر بقلق شديد نهاية هذه المأساة لاعرف ما اصاب اثاثي وبضائعي في هذه المدينة

٥

حال عكا في اثناء الحصار

الناصرة في ٣ كانون الثاني ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٣٢)

الى الكاڤالير أشربي دي كستلجفريدو بالاسكندرية

...... سمعت ان المحاصِرين سيشعلون لغماً عن قريب ثم يعمدون حالاً الى الهجوم على المدينة[2] . ويظهر ان المحاصَرين يوجسون خوفاً من ذلك وبدأ بعضهم بالهرب . وقد علمنا من هؤلاء ان هـذه

(١) Acerbi di Castel Goffredo

(٢) راجع الوثيقة رقم ١

المدينة التعسة اصبحت بحالة يرثى لها من جراء قذف القنابل والقنابر عليها . وعبدالله باشا ما زال يأمل ان تصله عن قريب نجدة الباب العالي

٦

ثبات عكا واميال المسلمين والمسيحيين

حيفا في ٢٨ شباط ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٣٣-٣٤)

الى الكاڤالير اشربي في الاسكندرية

١ ـ ثبات عكا وخرابها ـ مع ان عكا قد خربت مراراً وخربت كلها تقريباً فهي ثابتة ثبات الابطال . وقد اكد لي بعض الخبيرين في فنون الحرب المجردين من الغرض انها الآن اقوى منها في اول حصارها . لان خرائب اسوارها تجعل دخولها شاقاً للغاية . ولا بد من اشعال لغم لفتح ثغرة فيها، وقد سمعت ان المحاصِرين يشتغلون الآن بهذا اللغم من غير ان يخففوا ضرب المدافع والقاء القذائف

وفيما نحن في انتظار نهاية هذا المشهد ارغب في اطلاعكم على حالة القوم النفسية . فالاتراك[1] اغلبهم موالٍ لعبدالله باشا ويجاهرون بذلك عالياً . اما سكان جبال نابلوس ولبنان فبعكس ذلك يميل اكثرهم الى ابرهيم باشا . وهذا الميل ان لم يكن ناشئاً عن حبهم لهذا القائد فعن المظالم المتوالية التي كان عبدالله باشا يرهقهم بها

٢ ـ الحرب المنتظرة في سوريا ـ اشكر لـك ارسالك نسخة من

(١) المسلمون

الفرمان الصادر من الباب العالي بتاريخ ٢ كانون الاول. وقد ترجح عندي من قراءته ان سوريا مهددة بحرب جديدة بين جيش السلطان ومحمد علي. فان وقعت هذه الحرب سيتم ولا شك خراب هذه البلاد التعسة. وان لم يذخر السلطان فيها المؤن الكافية فلا يمكنها الثبات في مقاطعة ما نظرًا للفاقة الشديدة الحالّة الآن بسوريا

وخلاصة القول اننا الآن في حالة سيئة ستزداد حرجًا لو خرج عبدالله باشا ظافرًا من هذه الحرب. لان المسيحيين سيضطرون في هذه الحال الى هجر هذه البلاد والالتجاء الى حيث يصيرون في مأمن من غضبه[1]

٧

بلوردي السلطان والحالة في سوريا

الناصرة في ١١ شباط ١٨٣٢. (عن الايطالية ص ٣٤ و٣٥)

الى الاب فرنشسكو دَلّجِروتّي[2] محافظ الارض المقدسة في القدس

ابعث اليك مع الاخ ماشيراتا بصورة من الفرمان الذي يندد به السلطان عاليًا بسلوك محمد علي والي مصر، لتجريده العساكر وبعض المراكب على عكا. فهذا التشهير يحمل على الظن ان سوريا مهددة بحرب جديدة بين عسكر السلطان وجيش محمد علي. ومن رأيي ان هذا الامر مستبعد، نظرًا لكثرة الجنود المصرية، ولان عساكر السلطان لا يمكنها ان تجد في اي مقاطعة من هذه البلاد

(١) راجع مقدمتنا ح ١ : ٥

(٢) Dalle grotte

ما يكفيها من المؤن، نظرًا للفاقة الضاربة اطنابها فيها. فضلًا عن ان عكا ستسقط على الارجح في الايام العشرة الآتية، بحسبما اكد لي كثيرون من الضباط الذين يحاصرون الان هذه المدينة التعسة

فليطمئن بالك من هذا القبيل، خصوصًا ان لدينا دائمًا متسعًا من الوقت لاخذ الاحتياطات اللازمة اذا اضطرنا الامر الى ذلك

اما دمشق فسائرة في عصيانها. حتى ان الباشا الجديد[1] اضطر ان يتركها ويعسكر خارجًا عنها

٨

تشديد الحصار على عكا

الناصرة في ٢٥ شباط ١٨٣٢. (عن الايطالية ص ٣٥)

الى الكفالير اشربي في الاسكندرية

... نحن ننتظر بقلق شديد نهاية مسألة عكا. لا شيء جديد بعد سفر الخواجا باشينلّي[2]. ولكني سمعت الساعة ان سعادة ابرهيم باشا قد وطد النية على ان يحتفل في المدينة بعيد الاضحى القادم، وانه سيأمر بهجوم عام عليها في اواخر الهلال الحالي[3]

(١) علو باشا. راجع «المذكرات التاريخية» لحضرة الاب قسطنطين الباشا ص ٤١

(٢) Baccinelli

(٣) رمضان

٩

سقوط عكا

الناصرة في ٣ حزيران ١٨٣٢ . (عن الفرنسوية ص ٣٩ و٤٠)

...... أبادر الى اعلامكم بسقوط عكا . فمعقل البلاد السورية، الذي هوجم مراراً بدون جدوى، والذي فشل امامه كثيرون من القواد العظام قد سقط الآن في يد ابرهيم باشا على اثر هجوم تشيب لهوله الاطفال قام به في ٢٧ من الشهر الماضي . وان حق لنا القول ان عبدالله باشا قد دافع دفاعاً مجيداً – اذ انه بقليل من الرجال (٢٧٠٠ جندي) عرف كيف يقاوم ستة اشهر قوات اكثر عدداً وتدريباً – لا يفوتنا ان نعترف ان عدوه اظهر نحوه ونحو السكان كثيراً من كرم النفس والمروءة . فقد استطاع كل فرد ان يخرج من المدينة سالماً مع انها فُتحت عنوة . ولم يسمح ابرهيم باشا لعساكره سوى بنهب المدينة . وقد افرطوا في ذلك، لانهم استمروا في السلب سبعة ايام واحرقوا بعض المنازل والابنية . ولقد رغبت في دخول عكا في هذه الايام الاخيرة ولكني لم اطق المكوث فيها غير وقت قصير بسبب الرائحة الكريهة التي كانت تنبعث منها . وكفتني هذه الزيارة لاتحقق مما كنت اخشاه من زمن طويل، اي من خراب بيتي ومحل القنصلية خراباً تاماً . لاننا لم نجد فيهما شيئاً البتة . وعلمنا ان عبدالله باشا في اثناء الحصار باع بالمزاد العلني كل ما كان فيهما من الاثاث والفضيات والمؤن وخلاف ذلك، مع البضائع الموجودة في مخازننا . وقد اودع الثمن خزينته . وسنقدم

بياناً بهذه الخسائر لنطالب بها ذوي الشأن . وسنعود الى المدينة في فرصة اخرى للبحث عن سجلات القنصلية المفقودة

لا بد ان يكون عبدالله باشا الآن في مصر . فقد ارسله ابرهيم باشا مع كاتخداه ومملوكه الصغير الى حيفا، حيث انزلوهم في احد مراكب خديوي مصر الحربية . واقلعوا بهم في اليوم الثاني الى الاسكندرية . وابقى ابرهيم باشا في عكا حامية مؤلفة من اربعة آلاف . وسمعت انه مسافر ببقية جيشه قاصداً دمشق فحلب . وقد يلقى عوائق جديدة في مشروعاته، خصوصاً اذا تصدى الباب العالي للخديوي . ومما لا ريب فيه ان فتح عكا جعل الكثيرين ينضمون اليه . اما المدينة فبحالة يرثى لها، لا يرجى ان تنهض منها قبل زمن طويل، ولم تعد صالحة للسكنى . وربما سكنت موقتاً في صيدا

١٠

خروج العمارة العثمانية – فتح دمشق

الناصرة في ١٩ حزيران ١٨٣٢ . (عن الفرنسوية ص ٤٤ و٤٥)

الى البارون دو تنقيل في الاستانة

ان الرسائل الواردة من الاسكندرية بتاريخ الشهر الماضي تفيد نقلاً عن اخبار الاستانة ان العمارة العثمانية خرجت منها بسرعة ومعها مراكب كثيرة للاثقال، وان السلطان لما علم بالحملة العسكرية الموجهة الى سوريا اهتم لامرها اهتماماً عظيماً وقلد حسين باشا قيادة الجيوش . فاظهر بذلك عزمه على مقابلة القوة بالقوة وانه يعد

الخديوي وابرهيم باشا خارجَين عليه وسيعاملهما كعصاة . ففي هذه الحال ارجو سعادتكم ان تبينوا لي الخطة التي يجب علـى اتباعها ازاء الحكومة الجديدة في عكا والثغور السورية

وصلت الينا اخيرًا اخبار رسمية تنبئ عن استيلاء ابرهيم باشا على دمشق ودخوله اليها في ١٣ الجاري بعد معركة قصيرة نازل فيها فرقة من العسكر النظامي خرجت من المدينة في ١٢ منه . فكسرها كسرة تامة في داريًّا على بعد نحو ساعتين من دمشق . وقد القى هذا الانكسار الرعب في قلب الباشا فانهزم من المدينة، وهرب معه المفتي والقاضي ورؤساء الثورة الاخيرة، التي سببت مقتل سليم باشا . وبعد خروجه اجتمع الاعيان وارسلوا وفدًا الى ابرهيم باشا يطلبون اليه ان يعامل سكان دمشق بالرأفة والحلم . فقبل ملتمسهم وأمنهم على ارواحهم واموالهم ووفى بعهده بكل دقة[1]

وعلى اثر هذا الانتصار أصدر منشورًا يعلن فيه انضمام دمشق الى املاك مصر . ويمكننا ان نؤكد مقدماً ان هذا الفتح الجديد يسهل عليه الاستيلاء على حلب اذا كان راغباً في ذلك

١١

سكان سوريا والحملة المصرية — الهجوم الاخير على عكا

الناصرة في ٥ تموز ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٥١ ـ ٥٥)

الى الكڤالير اشربي دي كستلجفريدو بالاسكندرية

١ ـ عبدالله باشا وامواله ـ لما سأل ابرهيم باشا عبدالله باشا عما تحوي

(١) راجع « المذكرات التاريخية » للاب قسطنطين الباشا ص ٥٢ ـ ٦١

خزينته اجابه انه لم يبقَ له سوى بضع جواهر تبلغ قيمتها من ألفين الى ثلاثة آلاف كيس . ويقال ان ابرهيم باشا قال له حينئذ : ابهذا الحطام تجاسرتَ ان تقايس نفسك مع محمد علي باشا ؟ وقد اكد لي بعضهم انهم لم يجدوا في قصره من النقد سوى ثمانمائة كيس

٢ ـ خيانة الدمشقيين ـ وقـد اوشك ابرهيم باشا ان يأمر بحرق دمشق لانه عثر في يد احد الخارجين منها على رسائل موجهة من اهلها الى الباشاوات المعينين لنجدة سوريا، فعلم من مضمونها ان هناك مؤامرة شنيعة مدبرة لاغتياله واحباط اعماله الحربية . ويقال ان ابرهيم باشا اكتفى بتجريد كل اهالي دمشق من السلاح

وقد سافر منها منذ ثلاثة ايام بجيش جرار قاصدًا الى حمص وحماة، حيث اجتمع الباشاوات المذكورون ومعهم من ١٢ الى ١٥ الف رجل، جمعوهم من هنا وهناك . فهم من غير نظام ولا تدريب

٣ ـ دروز لبنان ـ اما دروز لبنان فقد حملهم تعصبهم على ان يقوموا ضد المسيحيين والامير بشير، المتحد اتحادًا وثيقاً مع ابرهيم باشا . ولما رأوا ان ابرهيم باشا ذلك القائد الباسل قد علم بما كانوا يضمرونه من احجامهم عن مساعدة الامير قرّ رأي القسم الاكبر من رؤسائهم على ان يهجروا لبنان وينضموا بثلاثة آلاف من ابناء قومهم الى باشا حلب[1]

٤ ـ المسلمون ـ اما عثمان باشا حاكم طرابلس، الذي رُد عنها من مدة قصيرة، فهو الان في جهات اللاذقية مع جيش مؤلف من

(١) راجع ح ١ : ٢٠

عشرة آلاف رجل. ولكن جنوده غير منظمين ايضاً، لان اكثرهم من فلاحي الجبال المعروفة بجبال اللاذقية. ومما يشجع هؤلاء الباشاوات قرب وصول حسين باشا[1] ويظهر ان بعض قبائل البدو تؤيدهم وانهم يعتمدون ايضاً على تعصب الاتراك[2] والدعوة التي يبثونها في تلك الجهات . لان هؤلاء الاتراك غير مرتاحين الى انتصارات الجيش المصري

٥ – البدو – وكان يُظن ان البدو قد انحازوا بعد اخذ عكا الى ابرهيم باشا. ولكننا سمعنا اخيراً انهم رفعوا القناع عن مقاصدهم، خصوصاً بعد ان سُجن في دمشق المدعو ضهري السنار[3] ؟، احد رؤساء مشايخ العنزه . وهي قبيلة مؤلفة من ٨ الى عشرة آلاف مقاتل . وفي القرب منا قبيلة اخرى تدعى بني صخر [صقر ؟][4]، كان ابرهيم باشا قد كلفها قبل سقوط عكا ان تنقل على جمالها الذخائر والمؤن اللازمة للجيش المصري المعسكر في زحله[5] . وهو مكان تابع للبنان وازاء دمشق. فحنثت بعهودها السابقة ورفضت ان تطيعه . فاثارت هذه الخيانة غضب ابرهيم باشا عليها . وعلى اثر سقوط عكا حاول هؤلاء البدو ان يصلحوا ما بدا منهم سابقاً نحو ابرهيم باشا فوعدوه بالنزول عند رغائبه والسير بحسب اوامره في المستقبل. فصفح عنهم ونقدهم ١٥٠ كيساً من اصل كلفة نقل

(١) سردار العسكر

(٢) المسلمين

(٣) Duhri El-Sinar

(٤) Bêni Sakr

(٥) راجع مقدمتنا ح ١ : ٧

الذخائر والمؤن . فبعد ان قبضوا المبلغ وسيروا جمالهم الى حيفا لتحميلها عادوا الى المخادعة وانسحبوا . ثم تظاهروا بالعصيان ضد سعادته . وقد ظهرت نتائج انتقاضهم، لان طرق الصحراء ومروج ابن عامر لم تعد امينة

٦ – الهجوم الاخير على عكا – ولقد كان الهجوم الاخير، الذي سقطت عكا على اثره، شديداً بيعت فيه الارواح بيع السماح . بدأ الساعة الرابعة صباحاً ولم ينتهِ الا بعد غياب الشمس . وكان جنود عبدالله باشا قد اصبحوا ١٢٠٠ فقط لان الطوبجيه رفقاءهم تركوهم بعد ان سمروا بعض المدافع المعدة للدفاع عن الثغرة . فاستبسل هؤلاء الجنود في الثبات امام ذلك الهجوم الشديد واعادوا المصريين على اعقابهم ثلاث مرات . وكان عددهم يربي على الثمانية آلاف . ولم يستقر النصر لابرهيم باشا الا بعد ان ابيد جنود عبدالله باشا على بكرة ابيهم

وهذا ما يحملني على ان انضم الى الرأي السائد القائل انه لو بقي لعبدالله باشا الف جندي فقط لثبتت عكا ستة اشهر اخرى . لاسيما وان الاخبار السارة كانت تصل اليها يومياً تقريباً مع شدة حصارها براً وبحراً. ولما لم يعد لعبدالله باشا من وسيلة للدفاع اظهر شجاعة غريبة بالثبات ساعتين اخريين امام ذلك الهجوم الهائل . وبعد ذلك رأى من الحكمة ان ينزوي في سرايه وان يرسل من يعلم ابرهيم باشا باستسلامه. فاظهر ابرهيم باشا مروءة عظيمة في قبول تسليمه . وهكذا حقنت دماء السكان المساكين

وخرج عبدالله باشا من عكا قرب نصف الليل بصحبة بعض

مماليكه وواجه ابرهيم باشا . اما المدينة وسكانها فقد قاسوا كل فظائع الفتح والسلب وانتهكت اعراض بعض النساء . نعم ان ابرهيم باشا اظهر عدم رضاه عن هذا التعدي لكنه لم يستطع ان يمنعه ولا ان يوقف حدة جنوده وغضبهم . فلم يكتفوا باحراق منازل عديدة بل استمروا في النهب ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً . اما المنهوبات فبعد ان بيعت بالمزاد العلني تحت نظر ابرهيم باشا نفسه أمر ان تعاد الى اصحابها الاصليين . وهذا ظلم فادح . لان المشترين لم يتمكنوا بهذا الاسترداد الجبري من استعادة اموالهم

الطاعون متفشٍّ الآن في يافا والرامة والقدس وفي بعض اماكن من السامره وطبريه

١٢

سقوط حمص ونفور السكان من الحكومة المصرية

الناصرة في ١٧ تموز ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٥٥)

الى الكافالير اشربي دي كستلجفريدو في الاسكندرية

لقد سقطت مدينة حمص في يد ابرهيم باشا بعد كسرة تامة انزلها بالجيوش التركية المجتمعة بجوارها . ويقال ان عباس باشا قد استولى على اللاذقية . ولكن هذا الخبر يفتقر الى الاثبات[1]

وبالرغم من هذه الانتصارات المتوالية فالسكان من مسلمين ومسيحيين لا يميلون الى الحكومة الجديدة، خصوصاً بعد حوادث عكا . واني على ثقة انهم سيجاهرون باستيائهم عند اول نكبة

(١) راجع ح ١ : ٢٠

تصيب الجيش المصري . وهذا ما يحملنا على الظن ان الراحة والسلام لا يعودان قريباً الى هذه الجهات

ويسرني ان اخبركم ان وطأة الطاعون تخف يوماً عن يوم

١٣

الرسوم والحكومة المصرية

الناصرة في ١٧ تموز ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٥٦)

الى الكافالير اليانو دي بيتشوتو قنصل النمسا في حلب

لم اتأخر عن ان اسند بكل قواي طلبات البولونيين النمسويين النازلين في صفد لاعفائهم من مبلغ ٧٥٠٠ غرش كانوا يدفعونها سنوياً الى عبدالله باشا كرسم ايجار لمنازلهم . وقد رجوت بهذا الخصوص الخواجا حنا بحري وكيل شؤون ابرهيم باشا العام[1] . فاجابني انه ليس في الامكان الغاء هذا الرسم المعروف بالعشر . وهي ضريبة تختلف عما كان عبدالله باشا يحصله بدون حق من كل ديورة الارض المقدسة . وقد اعفيت منها الآن من غير تدخل الخواجا جوريل[2] قنصل فرنسا في بيروت . رغبت الحكومة الجديدة ان تظهر بمظهر هذا القليل من العدل لاجل غاياتها السياسية

ومما سبق تفهمون ان اهالي هذه الجهات ما زالوا غير راضين عن الحكم الجديد لانهم لم يجدوا فيه الى الآن سوى رسوم جديدة

(١) fac totum

(٢) Jorelle

ومضاعفة الرسوم القديمة . حتى ان العمال المصريين يحصلون الآن بدون شفقة ليس ميري السنة الحاضرة فحسب بل ميري السنة الماضية، التي تركها لهم عبدالله باشا لامحال الموسم

بقي ان نعرف هل هناك امل في تحسين حالة هذه الشعوب التعسة لو ثبتت قدم الحكومة الجديدة في هذه البلاد

١٤

عمارة النمساويين

الناصرة في ١٩ تموز ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٥٣)

الى پاولو مالاجامبا[1] وكيل قنصل سردينيا والنمسا في حيفا

افيدكم ان الكولونيل البارون اكارتي[2] قائد الفرقة الامبراطورية في الشرق قد اعلن لمحمد علي انه مصمم على ان يدافع بالقوة عن المبدإ المقرر وهو « ان البيرق يحمي الاشخاص والبضائع »

١٥

العمارتان المصرية والعثمانية

الناصرة في ٣٠ تموز ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٥٨)

الى اليانو بيتشوتو قنصل النمسا في حلب عن طريق بيروت

اتانا من اخبار بيروت ان العمارة العثمانية وصلت الى قبرس في

(١) Malagamba

(٢) Acarti

١٦ الجاري وهي مؤلفة من ٣٨ مركباً حربياً و ٧٠ مركباً للنقل وانها توجهت في اليوم نفسه الى الاسكندرية . وفي اليوم التالي القت العمارة المصرية مراسيها في قبرس ايضاً وهي مؤلفة من ٢٢ قطعة حربية . وقد اسرعت حالاً وراء قبطان باشا[1] . فالارجح ان العمارتين قد التقتا الان . ولا بد ان نعرف قريباً نتيجة تصادمهما

اما الطاعون، فمع شدة الحر في هذا الصيف، نراه منتشراً في اماكن كثيرة من سوريا وفلسطين . وقد جاء يقلقنا هنا ايضاً ولكن وطأته خفيفة . واملنا بالله ان يبعده عن هذه الجهات ويحفظ مدينته[2]

١٦

فتح حلب

الناصرة في ٧ آب ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٦٠-٦٥)

الى الكفالير اشربي دي كستلجفريدو قنصل النمسا في الاسكندرية

١ - موقعة حمص - انبأتكم في تقاريري السابقة المؤرخة في ٥ و١٧ الماضي عن اعمال ابرهيم باشا لغاية فتح دمشق، حيث ترك حامية مؤلفة من اربعة آلاف جندي[3] . واخبرتكم ايضاً عن كسرة الجنود العثمانية، التي كانت معسكرة من زمن طويل بالقرب من حمص، مع انها عززت باربعة آلايات من المشاة وثلاثة آلايات من الخيالة، اخذت من الجنود النظامية . فلم تقوَ على الثبات امام

(١) قائد الاسطول العثماني

(٢) الناصرة وطن السيد المسيح

(٣) راجع المذكرات التي نشرها الاب قسطنطين الباشا ص ٦١

حدة هجوم ابرهيم باشا الباسل . وهـذه الجيوش بعد ان فقدت مدافعها ومؤنها تقهقرت الى جهة حلب . فقرر ابرهيم باشا ان يلحقها الى هناك ساعياً وراء انتصارات جديدة . فكان له ذلك، وفتحت له حلب ابوابها . ويعد الرأي العام هنـا النصر الذي رافق ابرهيم باشا شؤماً على جيوش السر عسكر حسين باشا، التي يقال انهـا وصلت الى القرب من حلب . ورجوح كفة ابرهيم باشا يحزن هذه الشعوب لان المسلمين مستاؤون منه . واظن ان هذا الاستياء بدأ يشمل المسيحيين ايضاً

٢ ــ اميال السوريين ــ ولما كنتم قد شرفتموني بالسؤال عن رأيي في حالة سوريا الحاضرة واميال سكان هذه البلاد المجتاحة اتجرأ بان اصرح لكم ان جميعهم كانوا قد ملوا ظلم الحكم الماضي واصبحوا متشوقين لرؤية الجيوش المصرية أملاً في ان يحكموا بحسب النظام والعدالة التي اشتهر بها محمد علي . ولكنهم لم يروا من ابرهيم باشا سوى مظاهر المروءة والحلم والشهامة وهي خصال شخصية تدل على اخلاق راقية . بيد ان عجرفة بعض الموظفين، الذين خولهم تنفيذ اوامره، كادت تمحو تأثير هذه الخصال الحميدة . وبما ان كل شيء كان يدور على محور هذه العجرفة، المصحوبة باحتقار كل انسان، اصبح كل امرىء يرى نفسه مذلولاً مغشوشاً . وهذا سر الانقلاب الاول ضد الحكومة الحاضرة

وان قلت اني مسرور من الاكرام الذي لقيته من سعادة ابرهيم باشا فهذا لا يعني ان كل طلباتي العادلة لقيت منه اذناً صاغية . لان اغلبها لم ينتهِ بنتيجة مرضية، حتى الرسمية منها . ومع ذلـك فانا

اجتهد ان اكيِّف موقفي بقـدر الامكان، آملاً بتحسن الحال في المستقبل

واذا استثنينا الحوادث السياسية والحربية لا يوجد هنا سوى تضارب في التكهن ورجم في الغيب عما سيحدث في المستقبل . وانا اعدكم بان اطلعكم على كل شيء في حينه وابلغكم اياه بالطرق التي ترسمونها لي

٣ ــ اخلاق عبدالله باشا ــ واعود الآن الى خلاصة حكايتي مع عبدالله باشا . ولما كانت طويلة، مهما رغبت في الاختصار، ارجوكم ان تحملوا علي وتعذروني في الصراحة التي اتوخاها في الكلام . أحيط عبدالله باشا منذ صغره بائمة الشريعة الاسلامية فنشأ عـلى التعصب الديني . ولدي براهين عديده تؤيد قولي هـذا لا حاجة لسردها هنا . ولقد كنت اول من خبر ذلك . فقد حرمني من دون سبب آخر سوى التعصب الديني، الامتيازات التي منحنيها سليمان باشا جزاء خدماتي الكثيرة . واخذ هذا الشعور ضدي يزداد يوماً فيوماً الى ان كانت السنة ١٨٢٢، التي وجد فيها نفسه مهدداً من درويش باشا بالحصار . فبناء على اشارة والدته، التي كانت عالمة بخدماتي الجلى لسليمان باشا سلفه، استدعاني اليه واستشارني فيما يجب عمله في هذه الحالة الحرجة . ومع انه لم يكن هناك ما يحملني على اخلاص النصح له فقد قابلت سلوكه السيِّىء نحوي بما توصي به المبادئ المسيحية . فهي لا تسمح لاي كان ان يخدع من يطلب منه المشورة باخلاص . وافتخر اني اشرت عليه ان يلتجئ في تلك الظروف الحرجة الى محمد علي باشا وان يضع نفسه بين يديه فيرضي

الباب العالي عنه . وقد اكدت له حينئذ ان مروءة سعادته (محمد علي) ستحمله بلا ريب على الاخذ بيده . فمع ميله الى سوء الظن قبل نصحي واظهر استعداده للعمل به . ولو اني اطعته لاوفدني بصحبة والدته لاحمل سعادته على مساعدته . وقد كنت عند حسن ظني بسعادة محمد علي باشا لانه حالما علم بالامر تنازل للاخذ بيده[1]

واصبحت من جراء ذلك صديقاً لعبدالله باشا الى حين ما . وقد كنت قبلاً لا اجد منه سوى مناوآت من كل الانواع . فاخذ من ذلك الوقت يفيض علي الوعود الكبيرة ويشركني في المشاريع العظيمة، التي لم يتم واحد منها . ولا ارغب في الكلام على خدمات غير هذه قمت بها له ولكني ارسم لكم صورة حقيقية تمثل طبعه المتقلب

تعرفون ان عبدالله باشا قد احتكر تقريباً كل المحصولات . بيد انه كان يتملص من شروط الاتفاقات التي يعقدها ويغيرها على هواه، اذا اقتضت مصلحته ذلك . ولم يكن يحافظ قط على مواعيد الاستحقاق . و كانت ادنى شكوى ناتجة عن حسد او غرض تفعل فيه فعلها . فيتسابق موظفوه الى تحريك اطماعه، ولم يكن بدٌّ من اشباعها . وفوق كل هذه الاحوال غير الملائمة للتجارة كان علينا ان نجاهد ضد كتبته . و كانوا يزاحموننا في كل الاعمال

---

(١) ان عبدالله باشا كلف حينئذ الامير بشير حاكم لبنان هذه المهمة . فجاء الى مصر سنة ١٨٢٢ ونجح في مأموريته، كما جاء شرح ذلـك في تاريخ الامير بشير الذي نشرناه (ص ١٧)

التجارية . ولم يكن في الامكان اطلاعه على هذه المزاحمات غير المشروعة، لانه سريع الانقلاب، يميل الى كل فتان . كل علاقاتي التجارية مع عبدالله باشا كانت تحت تأثير هـذه العوامل . اما الصفقات العائدة علي بالخسارة فكانت شروطها غير قابلة التغيير . واكتفي بذكر واحدة منها خاصة بشراء غلال خسرت فيها ١٥٠ الف غرش، لانه لم يقم بتسديد القسط الذي تعهد به . وما زلت شاعرًا الى الآن بنتائج الخسارة ومضطرًّا ان اقابل الاحتجاجات (بروتستو)، التي ترفع ضدي لتسديد جانب من ثمن اقطان اشتريتها لحساب عملائي . فقد الغى ظلماً العقد المختص بهذه الصفقة

ولما كنت دائماً اعلل النفس بوعوده العرقوبية اصبحت « خزنته » مدينة لي على الدوام بمبلغ يزيد عن الثلثمائة كيس . وقـد تجمع المبلغ المذكور من نقود اقرضته اياها ومن مجوهرات وغيرها ابتعتها لحسابه . و كنت اقوم بهذه الخدمات دون ان يكون لي من ورائها ادنى فائدة، بل كانت تجر علي دائماً الخسارة . وربما اقتنعتم من عدالة مطاليبي لو علمتم ان كل هذه المبالغ كانت تعاد الي بعد مدة طويلة، اي بعد ان تكون ارباحها قد ذهبت ادراج الرياح وتثقلت بفرق العملة، لتقلّب النقد التركي المستمر

هذه الخدمات كلها لم تكتسب لي صداقة عبدالله باشا ومعرفته للجميل، ولا حمتني من هيجان غضبه . وانتم تعلمون ما قاسيتُ منه في السنة ١٨٢٨، و كيف خسرت فيها مبلغ ٣٧٦٤٤،٢٦ غرشاً، لاتلافى تهديده، الذي ارسله الي بكتاب امضاه بيده وهو محفوظ عندي الى الآن، وفيه يبيح للعامة اموالي وحياتي وعرضي . وهذا

المبلغ ثمن مجوهرات وخاتم وخسارة فرق العملة وقد اوجب علي تقديمها كقرض اجباري

ففديت نفسي بهذه المجوهرات وظللت في خوف ووجل الى مجيء حضرة الكاڤالير بروكسك[1] الذي خفف عني مخاوفي واستجلب لي حماية رؤسائي . وقد عزمت بعد هذه الحادثة على الابتعاد عن عبد الله باشا بقدر الامكان وقررت السكنى في الناصرة مع عائلتي . وقطعت كل علاقاتي مع « الخزنة » خوفاً من الوقوع للمرة الثانية في حبائل المذكور وحسد المزاحمين الكثيرين . ومع ذلك لم انجُ من معاكساته بطرق تختلف عن الاولى حتى اضطررت ان اطلب من رؤسائي نقلي الى بيروت . ولبثت اكرر هذا الطلب حتى وصول الجيش المصري الى هذه الجهات

١٧

فتح حلب وبيلان . آمال السوريين

الناصرة في ١٠ آب ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٦٦)

الى الكاڤالير اشربي بالاسكندرية

ابعث اليكم بنشرة تعرفون من فحواها باية سهولة دخل الجيش المصري حلب[2] وقد بلغنا امس خبر استيلائه على بيلان[3] وهو مكان

---

(١) Prokesck

(٢) يقول في ص ٦٨ من السجل ان « ابرهيم باشا دخل حلب في ١٥ تموز »

(٣) مضيق فوق ثغر الاسكندرونة في جبال طوروس يفصل سهول سوريا الشمالية عن بلاد الاناضول ويعد مفتاح الاناضول

غير بعيد عن حلب . وكان هذا الخبر مصحوباً بنشرة تنبئ عن توجه ابرهيم باشا من هناك الى ادنه بجيوش جرارة . ولا بد انه يطمح الى فتوحات جديدة والى الاقتراب من العاصمة[1] . وعلى ظني ان مشروعه وعر المسلك . والجميع مشتاقون لمعرفة نتيجة التقاء العمارتين المصرية والعثمانية

ترى المسلمين غير متأثرين من هذه الانتصارات الباهرة[2] لا بل يجاهرون بعدائهم للحكومة الجديدة . وقد ذهبت ايضاً آمال المسيحيين فيها ادراج الرياح بعد ان رأوا السعادة الموجودة في مصر تقترب منهم ...[2] وقد تحققوا الآن ان الحكومة الجديدة تسعى في ان تدخل الى سوريا احتكاراً اشد مما كان في عهد عبدالله باشا . ان تم هذا الامر فقل على التجارة السلام

١٨

موظفو الحكومة المصرية

صيدا[3] في ٢٦ شباط ١٨٣٣ . (عن الايطالية ص ١٠٥)

الى الكاڤالير اشربي قنصل النمسا في الاسكندرية

ان صدّقنا بعض الاخبار الواردة من فرنسا، فالدول الاوربية

---

(١) الاستانة

(٢) يقول هذا على سبيل التهكم

(٣) انتقل انطون كتافاكو الى صيدا في تشرين الثاني سنة ١٨٣٢ حيث شغل مهام القنصلية النمسوية والروسية والفرنسوية كما كان في عكا . فاقترب من الحوادث التي كانت تقع في لبنان وجواره . وقد وجدنا له كتاباً مؤرخاً في ٢٦ تشرين الاول

ستتدخل قريباً في الخلاف الواقع بين محمد علي والباب العالي وتلعب دورها فيه . ويظهر ان هذا التدخل قريب . ومهما تكن النتيجة فالمرجح عند الرأي العام ان سوريا ستبقى لحكومة مصر . وستتمكن هذه البلاد من ان تنهض من سباتها وتعود الى مجدها السابق . ومع ان النظام لم يحل فيها بعد تماماً فسكانها يتوقعون مستقبلاً زاهراً

ونرجو ان لا يخيب املهم بعد ما قاسوه في العهد السابق من المظالم والتضحيات . وللوصول الى هذه النتيجة يجب على الحكومة الجديدة ان تفكر بتنظيم دوائرها وان تنتخب موظفين افضل من الحاليين . فقد ابقت تقريباً كل الموظفين القدماء في مناصبهم بدون تمييز بين الصالح وغيره . واتجاسر فاقول انها لم تحسن عملاً في ذلك، لان الجميع يتشكون من استبداد هؤلاء الموظفين وخاصة المدعو ميخائيل العورا[1] الذي يشغل الآن لدى الديوان افندي المنصب الذي كان له في عهد عبدالله باشا . لقد تعود ميخائيل المذكور ان يظلم البريء والفقير ليجلب المياه الى طاحونه[2] . ولم يعد يخاف ان يُقص جناحاه كما كان يفعل به عبدالله باشا من وقت الى آخر، ليمنعه من ان يطير أعلى مما هو لازم . ولما كان الديوان افندي حديث

من هذه السنة أَصدره من الناصرة واول كتاب وجدناه مرسلًا من صيدا عليه تاريخ ١٩ تشرين الثاني . ويقول انه هجر عكا لخراب بيته فيها ونهب اثاثه وسجلاته وانه بنى بيتاً في صيدا لسكنه الخاص

(١) هو والد ابرهيم العورا صاحب تاريخ سليمان باشا والي عكا، الذي نشره اخيراً الخوري قسطنطين الباشا

(٢) اعني ليستفيد من كل فرصة

العهد في هذه البلاد، فهو يثق بالمذكور ثقة عمياء . وهذا يرتكب المظالم باسمه بلا خوف ولا وجل، ويعرف كيف يتدبر لكي تصادف مشاريعه نجاحاً . ويتوصل الى مرغوباته بواسطة حلقة طويلة من الموظفين مرؤوسيه المخلصين له، الذين يثنون امام الديوان افندي على كل اعماله . ولئلا يشكل على سعادتك الامر لا بد ان تعلم ان اخاه جبرائيل هو الكاتب الاول في صيدا وان له اخاً آخر كاتباً اول في مقاطعة تبنين وملحقاتها . وان عديله حبيب نور كاتب يافا، وان قريباً له يدعى قسطه سيرافيم يشغل وظيفة كاتب اول في اورشليم . فيمكنك ان تتصور سيدي مقدرة هذا الرجل على الشر بمعاونة اقاربه الكثيرين الموظفين في دوائر الحكومة . فلا يستطيع انسان ان يقترب من الديوان افندي قبل ان يقدّم رشوة ما للمذكور . ولكل طلب فئة معلومة . فيضطر الملتزمون ان يكافئوه ويشركوه في جزء من ارباحهم دون ان يلتزم هو بخسارة ما، اذا كانت هناك خسارة . وخلاصة القول ان مظالمه يومية ولا يجسر احد ان يشكوه لئلا يحل به عقاب صارم . وهو يكره الافرنج ويحتقرهم مهما كانت منزلتهم، حتى المتطوعين منهم في خدمة الجيش المصري . . . ونظراً لمنزلتكم العالية لدى الحكومة المصرية، ارجو ان تعلموا حضرة الخواجا يوسف بوغوص بامر هذا الرجل وتفيدوني عن النتيجة

١٩

تجارة صيدا

صيدا في اول تموز ١٨٣٣ . (عن الايطالية ص ١١٨)

الى الخواجا پيتشوتو قنصل النمسا في حلب

يسوءني ان تكون صيدا ثغراً صغيراً للتجارة وان تكون محصولاتها محصورة في قليل من الحرير والدخان . وقد كان محصول هذه السنة من الصنف الاول شحيحاً، يكاد يبلغ نصف محصول السنين السابقة. وهذا ما حمل اصحابه على التمسك باسعاره وعلى طلب ١٥٠ الى ١٦٠ في الرطل . ولكن آمال التجارة حبطت لما شهرت الحكومة المصرية ارادتها في شراء محصول سوريا كلها من الحرير . وعلمت انها تنوي احتكار كل منتوجات البلاد . فان اقدمت على هذا الامر اضرت بمصلحة المُلاك كلهم وعطلت كثيراً على التجار واصحاب المراكب

اما البناؤون فقد طُلبوا جميعهم لسد حاجة الحكومة حتى ان عملاءها ارادوا ان يأخذوا البنائين المشتغلين في بنايتي الجديدة

٢٠

احتكار الحرير والقطن . التجنيد

صيدا في ١٤ كانون الاول ١٨٣٣ . (عن الايطالية ص ١٤٠)

الى الكڤاليير اشربي قنصل النمسا في الاسكندرية

ابرهيم باشا موجود الآن في طرابلس . وقد سمعت انه ينوي

تمضية شهر رمضان هنا وانه يفكر ان يجعل مركزه في صيدا بعد ان يصلح ميناءها . ان فعل ذلك نهضت تجارة هذا الثغر من كبوتها، الا اذا قيدت بالاحتكار

كنا واجسين من ان يحتكر ابرهيم باشا محصول الحرير كله . وقد اكتفى لحسن الحظ بعشرين الف اقة منه . وكان قد اثار ايضاً خوفنا على القطن وأمر بادخال كل محصول صفد ونابلس منه الى مخازنه. ومع انه اصدر الاوامر المشددة بهذا الخصوص وتهدد المخالف باللومان، ولو اشترى درهماً واحداً منه، فقد عاد الآن الى سحب هذه الاوامر، كأنه خاف هياج الافكار . فللزرّاع الآن الحرية ان يبيعوا اقطانهم لمن شاؤوا . ولكن الى الآن لم يتجاسر تاجر واحد ان يتقدم لشراء هذا الصنف، لتمسك ثمنه ولعدم تأكدهم من الحصول على الاذن في تصديره الى اوربا

لو عرف عبدالله باشا كيف يستجلب هذه الشعوب اليه، وخصوصاً سكان جبل لبنان ونابلس واورشليم، بدلاً من ان يحملهم جميعهم على معاداته، لتعسّر على الجيش المصري دخول فلسطين. لكن روح الشعب كانت قد زهقت من المظالم واصبح يعلل النفس بالرفاهية والراحة تحت حكم محمد علي وينتظر بفروغ صبر نهاية هذه الحال التعسة ومجيء ابرهيم باشا وسقوط عكا

وقد ادرك الشعب الان خطأه بعد ان سبق السيف العذل، واصبح واثقاً انه بعيد عن ان يقاسم الشعب المصري سعادته . . . فتحولت عند ذلك الحماسة فيه الى كره، سواء كان بين المسلمين او المسيحيين، وخاصة دروز لبنان . وقد تألفت في هذا الجبل احزاب

تميل الى الحكومة التركية القديمة واشتد استياؤها بعد ان شاع ان ابرهيم باشا يعمل على زيادة الضرائب في كل البلدان . وسمعتُ انها تقررت ان تكون من ٢٥ الى خمسمائة غرش

الامير بشير سالك بسياسة مع الحكومة الجديدة، لكن الامير خليل، احد انجاله، يجاهر باستيائه من النظام الجديد . وسينضم اليه كثيرون . لان عبدالله باشا سافر الى مقر ولايته الجديدة في ادرنه . وكان هذا المنصب من اكبر المناصب في الدولة العثمانية . واصبح المرجح عند الكثيرين ان يعود عبدالله باشا الى سوريا . وبدأ بعضهم يتمنى ذلك، مما يدل على تقلب الانسان

انا لا اعتقد ان ابرهيم باشا ناجح في تجريد كل الامة من السلاح، وخاصة سكان جبل لبنان ونابلس واورشليم . وليس من يجهل انه لأهون على هؤلاء تسليم نسائهم من تسليم سلاحهم . وارى انه سيجد صعوبة كبيرة في تجنيد عدد كبير من الشبان ليؤلف منهم آلايات النظام . فقد نجح في حلب الى حد محدود، فجند الف شاب، منهم اولاد بعض أسر وجيهة . وهم بمثابة ضمان لخضوع هذه المدينة للحكومة الحديثة . وبعد ان سافر هؤلاء المجندون من حلب لم تطق والدة احدهم صبراً على فراق ابنها فقصدت الى ترسوس وواجهت ابرهيم باشا نفسه وفي يدها بعض اكياس من المال . فلم يلبِّ ابرهيم باشا طلبها وحاول ان يهدئ روعها ويقنعها بان ابنها على احسن حال وانه اجدر بالحسد من الشفقة

ولم يمضِ وقت طويل حتى اكتشفت في حلب مؤامرة على الحكومة الجديدة سجن على اثرها جملة اشخاص وحكم بالاعدام

على احد وجهاء الانكشارية وهو ابن عبد الرحمن الصياب صبحي . وحُكم باللومان سنين عديدة في قلعة عكا على خمسة اشخاص من الاعيان (السيدا ؟) منهم ابن الحربلي

٢١

تنصيب عبدالله باشا على ولاية ادرنه

صيدا في ٤ كانون الاول ١٨٣٤ . (عن الايطالية ص ١٤٥)

الى الكاڤالير بيتشوتو قنصل النمسا في حلب

يؤكدون ان عبدالله باشا سافر الى الاستانة في مركب حربي أرسل الى الاسكندرية بامر خاص من السلطان . وان سعادة الخديوي اهدى اليه في هذه الفرصة مبلغ عشرة الاف كيس . وكان نزوله الى البحر باحتفال عظيم . وقيل ان السلطان عينه والياً لادرنه وهو المنصب الاعلى في الدولة العثمانية بعد الوزير الاعظم وقبطان باشا

٢٢

زميم عطا . الجاسوس التركي

صيدا في ١٤ آذار ١٨٣٤ . (عن الايطالية ص ١٥٧)

الى الكاڤالير بيتشوتو قنصل النمسا في حلب

ان الحالة الصحية في سوريا كلها على ما يرام . اما ابرهيم باشا فقد توجه الى طبريه ومنها الى الحمامات المعدنية . وقبل ان يترك عكا اوصى ان يُعجّل ترميم الجامع الكبير والحمام الكبير وغيرها من مباني هذه المدينة

وصل من الاستانة الى طرابلس احد الاشخاص من ذوي الوجاهة مصحوباً بتتر حقيقي . وسار من هناك قاصداً الامير بشير . ولم يكد يصل عنده حتى استدعاه ابرهيم باشا وحكم عليه حالاً باللومان وأودع التتر السجن

ووصل من الاستانة ايضاً ٢٢ تترًا يقال انهم حاملون موافقة السلطان على تولية ابرهيم باشا لسوريا

٢٣

زيارة ابرهيم باشا للامير بشير

صيدا في ٧ نيسان ١٨٣٤ . (عن الايطالية)

الى الكاڤالير پيتشوتو

ابرهيم باشا مقيم الان في الناصرة في بيتي القديم وقد سمعت انه ينوي ان يزور الامير بشير بعد قليل . وفهمت ان الامير غير مرتاح الى هذه الزيارة ...

٢٤

ثورة فلسطين

صيدا في ٢٥ حزيران ١٨٣٤ . (عن الفرنسوية[1] ص ١٦٢)

الى الكاڤالير پيتشوتو قنصل النمسا في حلب

طلب ابرهيم باشا من كل البلاد الخاضعة له شباناً ليجعلهم في

(١) تعود انطون كتافاكو ان يكتب الى پيتشوتو قنصل حلب بالايطالية . لكنه يقول انه اضطر الى الكتابة بالفرنسوية لغياب المسيو برنار (Bernard) الذي

النظام[1] . وقد دفع له سكان السامرة واورشليم وحبرون من ٥٠٠ الى ٥٠٠٠ غرش عن كل شاب مطلوب للقرعة . ولما لم يستطيعوا ان يثنوا عزمه رفعوا القناع عن استيائهم واعلنوا جميعهم الثورة، عازمين على ان يموتوا هم واولادهم قبل ان يسلموا نظاماً واحداً

ولما علم سعادته بالامر وكان خائفاً من اورشليم ترك يافا في ١٠ الجاري على رأس سبعمائة رجل . وما كاد يخرج من المدينة حتى رأى نفسه مضطرًا ان يحارب على الدوام لكي يرد عنه عصابات الثوار المحتشدة على طريقه . ولم يصل الى اورشليم الا بعد ان فقد نصف رجاله تقريباً . وكانت هذه المدينة قد وقعت في ايدي العصاة ما عدا القلعة التي بقيت في حراسة فلول الحامية المصرية . ولكن الثوار حالما سمعوا صوت المدافع هربوا ولم ينتظروا العدو بل تركوا المدينة واحتموا في الجبال المجاورة . وكان آلاي من المشاة آتياً من دمشق، وفيما هو يجتاز سهول حبرون ليلتحق بالباشا، انقض عليه السامريون وابادوه على بكرة ابيه

وتجرأ بعض هؤلاء الثوار وهاجموا عكا ليلاً وما بلغوا الى الاسوار حتى قابلتهم المدافع بنارها الحامية . ولما لم يكونوا على خبر من مفعول هذه المدافع ارتدوا على اعقابهم وتخلوا عن مهمة اقدموا عليها بدون تروٍّ ولا نظام

يظهر انه كان كاتماً لاسراره ومنشئ التقارير السابقة . وتجد صورة هذه الرسائل مكتوبة بخط غير واضح بخلاف ما سبقها والناسخ لا يجيد الافرنسية للاغلاط التي يرتكبها . ويظهر من طريقة الخط المستطيل ان الكاتب سيدة او آنسة

(١) اي في العسكر النظامي الذي انشأه والده محمد علي ونال به انتصاراته الباهرة . وتطلق كلمة نظام ايضاً على هؤلاء الجنود

ومنذ ذاك الحين يطوف الثوار حول هذه المدينة وحول مدينتي حيفا ويافا، وقد اجبروها على اغلاق ابوابها . وبدأ سكانها يشعرون بمجاعة شديدة. وكان الكثيرون منهم قد استأجروا مراكب ليهربوا بها الى جهات اخرى فاعترضت دونهم السلطة في ذلك . ويصل الثوار احياناً الى نواحي صور، حيث نهبوا اخيرًا بعض المواشي ودقيقاً مخزوناً فيها ليشحن الى عكا . وقد دمروا كل الطواحين

ويؤكدون ان سعادة ابرهيم باشا محصور في اورشليم مع بقية جيشه وانه بدأ يشعر بالمجاعة وان سعادة خديوي مصر يتحفز للمجيء بنفسه مع كل الجيش لمعاقبة العصاة

اما جبل لبنان فلم تبدُ منه الى الان ادنى حركة . وفي رأيي انه يمكن استمالته الى جانب الحكومة المصرية لو أعفي من الضريبة وخصوصاً من التجنيد، وهو في نظره اعظم من كل ضريبة

هـذا هو تقريري يا حضرة القنصل عن الحوادث المحزنة التي وقعت في هذه الجهات وقد تجده مختصراً لكنه دقيق. بقي علي ان اطلعك على حادثة حزنتني اكثر من غيرها ولا استطيع ان اقدر الان عواقبها[1]

ان نجاح الثوار قد جرّأ الاتراك[2] المقيمين في صفـد وطبريه فهجموا على الاسرائيليين وعاملوهم بقساوة عظيمة. فأهل صفد ثاروا في ١٤ الجاري وخربوا كل بيوت الاسرائيليين بدون ان يميزوا بينهم وبين رعايا جلالة مولانا[3] والذين تحت حمايته . وقد اعتدوا عـلى

(١) كان بيتشوتو اسرائيلياً

(٢) المسلمين

(٣) امبراطور النمسا

خمسة اشخاص، بينهم امرأة، اعتداء شنيعاً يندى له الوجه حياء .

اما اهالي طبريه فقد كانوا اكثر تعقلاً. وربما خافوا عواقب جسارتهم فاكتفوا بان يفرضوا على الاسرائيليين خمسين الف غرش . فقـد اجبروهم على ان يقدموا لهم يومياً كمية من المأكول و١٥٠ مدًا من الشعير

استقيت هذه المعلومات ممن اثق به تمام الثقة . وانا في انتظار تقرير الرابان جرحو ورابي اسرائيل، وكيلَي رعايا النمسا والذين تحت حمايتها، لكي اقوم بالمساعي التي تتطلبها هذه الحوادث

٢٥

وصول محمد علي باشا الى يافا . تولية الامير بشير على ثغور سوريا وفلسطين

صيدا في ٧ تموز ١٨٣٤ . (عن الفرنسوية ص ١٦٦)

الى الكافالير بيتشوتو في حلب

الحمد لله ! فقـد وصل خديوي مصر الى يافا في اول الجاري وكلف الامير بشير حكم ومراقبة كل المدن البحرية من اللاذقية حتى يافا بما فيها صفد وطبريه والناصرة وملحقاتها . وامره بالتوجه الى صفد بجيش مؤلف من خمسة عشر الف رجل، واعداً اياه ان يعفي بصورة دائمة سكان لبنان من دروز ومسيحيين من الفرده[1] والتجنيد

هذه التدابير قد لا تتفق مع النشرات الرسمية التي بلغتني انا

(١) ضريبة

وجميع حكام السواحل عن الصلح المعقود مع العصاة . وقد أعلن خبر هذا الصلح بضرب مدافع ميناء صيدا

ويؤكدون ان الامير (بشير) سيكون هنا بعد غد على الاكثر . وسانتهز فرصة مجيئه الى هنا لاقابله واوصيه خيراً بالاسرائيليين الى ان تسمح لنا الاحوال بمحاكمة الجناة

٢٦

اخماد العصيان

صيدا في ٣١ تموز ١٨٣٤ . (عن الفرنسوية ص ١٦٧)

الى الكاڤالير پيتشوتو قنصل النمسا في حلب

لم اقصر يا حضرة القنصل عن اعلامكم بدقة، في تقاريري المؤرخة في ٢٥ حزيران و٧ تموز، بالحوادث التي وقعت في نابلس وصفد، وعما قمت به من المساعي التي رأيتها ضرورية لتأمين الاسرائيليين التاعسين في صفد على ارواحهم

منذ ذاك الحين مر الامير بشير ازاء صيدا وصحبته سبعة الاف رجل من الجبل . وقد قابلته وقمت بما يفرضه علي الواجب من التوصية الشديدة بالاسرائيليين عامة وبرعايا مولانا الاعظم ومن هم تحت حمايته خاصة . وعرضت عليه ان ارافقه الى صفد فتعلل بمشقة السفر واشار علي ان انتظر منه علماً بعد وصوله الى هناك فارسل اليه شخصاً اختاره

وفي الواقع لما علمت بخضوع سكان هذه المدينة اسرعت في ارسال ابني اسكندر الى هناك . وقد كتب الي لدى وصوله بما

ينعش الآمال بتحسن الحال وسيرها بحسب مرامنا

اما من جهة المسلمين الذين اوصاني بهم رؤساء الطائفة الاسرائيلية هناك فسأكتب بكل ارتياح توصيات بخصوصهم الى الباشا والى صديقي الشيخ حسين عبد الهادي . الا اذا اتضح ان لهم ضلعاً بثورة صفد فلا يمكنني ان اعرّض ذاتي لرفض طلبي . على كل حال فاحدهم سليم اغا قد قُبض عليه وزج في السجن . واظن انه سينال ما ناله غيره من الاعيان، الذين يقتل منهم يومياً اثنان وثلاثة رمياً بالرصاص

وقد آل حضور الامير بشير الى خضوع العصاة في صفد وضواحيها . ولم يكن الصلح الموهوم الذي ذكرته في تقريري السابق سوى خدعة حربية

اما نابلس فلم تقع في قبضة ابرهيم باشا سوى من بضعة ايام . وقد خضعت بعد معركة دموية هائلة وبناء على وعود الشيخ حسين[1] الخلّابة . ولو عامل الظافرون المقهورين بشيء من المرونة لكانت البلاد الثائرة خضعت الان كلها . لكن الاعدام الذي يتكرر يومياً حمل سكان حبرون وجبال اورشليم على مواصلة القتال حتى الموت . وسيلاقون نصيب الذين سبقوهم

اما سعادة محمد علي باشا فقد كان في نيته على حسب ظني ان يأتي الى عكا وان يقوم بزيارة كل مدن سوريا . ولكنه تلقى اشارة من مصر اضطرته ان يقفل راجعاً الى الاسكندرية بطريق البحر منذ اثني عشر يوماً . ويقال ان وصول شخص عالي المقام من الاستانة الى مصر جعله يعزم على هذا الرجوع الفجائي

(١) عبد الهادي

وقد اظهر المسلمون من سكان الناصرة نيتهم الشريرة ان يفتكوا بأخي وابني لويس وسائر المسيحيين . ولحسن الحظ ان الاحتياطات الشديدة التي اتخذها المسيحيون قد حالت دون رغبتهم . اما سعادته فحالما علم بالامر ارسل الى هناك فرقة من المشاة واخرى من الخيالة للقبض على العصاة

٢٧

معركة حبرون

صيدا في ٢٠ آب ١٨٣٤ . (عن الفرنسوية ص ١٧٠)

الى الكافالير پيتشوتو قنصل النمسا في حلب

لقد تمكن سعادة ابرهيم باشا منذ ايام قليلة ان يُخضع عصاة حبرون وجبال اورشليم بعد معركة دموية وقعت بين اورشليم ومدينة حبرون دامت ثلاث ساعات، سالت في اثنائها الدماء انهاراً . وعلى أثر هذا الانتصار دخل سعادته مدينة حبرون وقبض على كثيرين وعاقبهم . ثم استأنف السير على رأس ثلاثة الاف خيال متعقباً قاسم الاحمد وغيره من رؤساء الثوار، الذين لجأوا على ما يقال الى قلعة الكرك

اما الامير بشير فما زال في ضواحي صفد . وقد اصبح اهل هذه المدينة عزلاً من السلاح اسوة باهل نابلس وحبرون واورشليم وغيرها من المدن . ويؤكدون ان اربعين الف بندقية قد ارسلت حتى الان الى عكا، فضلاً عن البنادق التي تعطلت

وقد كتب الي ابني اسكندر انه استرجع تقريباً نصف خسائر الاسرائيليين، وانه لولا هرب خمسة او ستة الاف مسلم حاملين ما

غنموه من الاسرائيليين، لانجز الان مهمته . لكن الامير اتخذ كل التدابير لمعرفة مخابئهم

ولما لم يعد لسعادة ابرهيم باشا ثقة بموظفي العهد السابق امر بطردهم من كل البلاد الخاضعة له

٢٨

معاقبة الثوار ومكافأة اللبنانيين

صيدا في ٥ تشرين الاول ١٨٣٤ . (عن الفرنسوية ص ١٧٥)

الى الكافالير اليان پيتشوتو

لقد خدم السعد ابرهيم باشا خدمة غريبة فهو لم يتغلب على جميع اعدائه فحسب بل تمكن من القبض بنفسه على العدد الاكبر من رؤساء الثوار الهاربين . وكان قاسم الاحمد واولاده وجرار أغلو وغيرهم من المشايخ قد تمكنوا من الافلات . لكن عرب العنزه[١] الذين لجأ المشايخ اليهم أملاً ان يكونوا عندهم في مأمن من كل مطاردة، خانوا حقوق الضيافة التي كان لها حرمة كبيرة الى الآن، وقبضوا على المشايخ المذكورين وارسلوهم الى ابرهيم باشا . فدفع المذكورون برؤوسهم ثمن جسارتهم . وقد امسك البدو اخيراً شيخ الكرك واخاه وقادوهما الى اورشليم، حيث قطع ابرهيم باشا رأسيهما في الحال

ثم ان جميع العلماء ائمة الدين الموجودين في اورشليم وفي كل مدن سوريا تقريباً قد أركبوا البحر في عكا وارسلوا لاتمام دروسهم في لومان[٢] ابي قير بمصر

(١) قبيلة شهيرة من البدو

(٢) سجن مؤبد

واستولى الرعب على جميع سكان سوريا حتى انهم سلموا اسلحتهم بدون تردد ولم يشذ عنهم سوى النصيرية . فسافر سليم بك الى طرابلس لمعاقبتهم[1]

فسعادته، اظهاراً لرضاه عن خدمات الامير بشير وجماعته، سمح لهم بان يحتفظوا باسلحتهم، على شرط ان يكونوا على اهبة الذهاب الى الحرب عند اول اشارة تصدر اليهم . وبما انه سمح للامير بشير وحاشيته بالعود الى جبلهم فقد اضطر ابني اسكندر ان يترك صفد . لان سفر الامير افندي من هذه المدينة حرمه كل وسائل المطالبة بمسلوبات الاسرائيليين . وخصوصاً ان ما بقي منها من مال ومتاع اصبح في ايدي الهاربين

٢٩

سفر الامير خليل الى اللاذقية

صيدا في ٢٠ ت ١ ١٨٣٤ . (عن الفرنسوية ص ١٧٤)

الى الكاڤالير پيتشوتو

الباشا موجود من بضعة ايام في دمشق حيث يجمع جيوش الساحل . ويؤكدون انه قد اصدر امره الى الامير بشير بان يلحقه الى هذه المدينة مع فرقة من الجيش . وقد سافر الامير خليل على رأس ثلاثة آلاف من رجال الجبل قاصداً الى طرابلس فاللاذقية . وكل الدلائل تنبئ ان سوريا ستكون من جديد ميداناً للحرب

(١) واصطحب معه الامير خليل واللبنانيين، كما جاء مشروحاً في مخطوطة القس انطون شراباتي راجع ج ١ ص ٤١ وما يليها من كتابنا « حروب ابرهيم باشا في سوريا والاناضول »

٣٠

اسرة باحوث ونظام الدوائر المصرية في سوريا

صيدا في ٢٥ شباط ١٨٣٥ . (عن الايطالية ص ١٩٢)

الى الخواجا فوسك[1] قنصل النمسا العام في ليڤورنو

لقد تلقيت بالشكر توصيتكم بأسرة باحوث[2] الساكنة في شفا عمرو، لان هذه التوصية تسمح لي بخدمة حضرتكم وحضرة الاب الجليل الخوري ميخائيل باحوث[3] . وقد كان المرحوم اسطفان باحوث في خدمتي بعض المدة . ويشغل الان يوحنا باحوث احد اولاده وظيفة كاتم اسرار لدى المدير او حاكم عكا، الشيخ حسين عبد الهادي . وهو من اصدقائي . وقد اوصيته باسرة باحوث وأؤمل ان تعود هذه التوصية عليه بالفائدة المرجوة ان لم يكن عاجلاً فآجلاً . وارجو منكم ان تعلموا حضرة الاب المذكور انه اذا تأخر ظهور مفعول هذه التوصية فالسبب ليس تقصيراً مني بل من الطريقة التي تمشي عليها الحكومة الحالية في سوريا لانجاز الاعمال . فقد كنا في الماضي نفوز بسهولة بطلباتنا دون ان نضطر الى قرع ابواب كثيرة . اما الان فبعكس ذلك يجب ان يمر الطلب تحت انظار دوائر كثيرة تبدي رأيها فيه . ومن هنا ينتج التأخير والتسويف في الاعمال ورفض بعض الطلبات

(١) Fausek

(٢) Bâḥûş

(٣) Rdo Don Micaele

٣١

التجنيد في لبنان

صيدا في اول تموز ١٨٣٥ . (عن الايطالية ص ٢٠٢)

الى المسيو انطون لوران[1] قنصل النمسا العام في الاسكندرية

مما يدعو الى الاسف ان لبنان يتمخض الان بثورة سببها اعلان التجنيد، الذي يرغب ابرهيم باشا في ادخاله الى لبنان . ويقال ان الجبل متحد كله على مقاومة هذا القرار . فان لم يعدل سعادته عنه وصمم النية على تنفيذه سيكون بلا محالة سبباً لاضطرابات عظيمة في هذه الجهات

٣٢

احتلال الجيش المصري للبنان

صيدا في اول ت ١ ١٨٣٥ . (عن الايطالية ص ٢٠٧)

الى الخواجا اليان بيتشوتو

لا بد انكم سمعتم بمجيء سليمان باشا اي الكولونيل سيف[2] من مصر الى بيروت موفداً من محمد علي باشا بصحبة الخواجا لابي[3] ترجمان قنصلاتو النمسا في الاسكندرية، مفوضاً عن باقي القناصل الاوربيين هناك . وهما مكلفان مهمات كثيرة . منها

(١) Laurin

(٢) Sèves

(٣) Lapi

فض الخلاف الناشئ في سوريا بين القناصل والسلطتين المدنية والعسكرية . وقضية التعدي على الاسرائيليين في صفد السنة الماضية . ويقال ان سليمان باشا كلف ايضاً تنظيم حقوق وامتيازات القناصل ووكلاء القناصل

ولم يكد سليمان باشا يباشر مهمته بفحص ما حدث في بيروت حتى دعاه ابرهيم باشا ليوافيه الى بعلبك على جناح السرعة فيصحبه الى جبل الدروز[1]، الذي جرد عليه خمسة عشر او عشرين الفاً من الجنود المصرية

وقد استولوا من ليلة ٢٧ الى ٢٨ ايلول على دير القمر وبتدين دون ان يلاقوا مقاومة او يطلقوا طلقاً واحداً . وهذا ما يحملنا على الاعتقاد ان الامير بشير على اتفاق تام مع سعادته في هذا الصدد . وهم ينزعون الآن سلاح الدروز وبعض المسلمين الموجودين في دير القمر وجوارها . بقي علينا ان نعرف هل يعفى مسيحيو الجبل من هذا التدبير، وهل يتم نزع السلاح في كل مكان بهذه السهولة

٣٣

نزع سلاح اللبنانيين

صيدا في ١٢ ت ١ ١٨٣٥ . (عن الفرنسوية) عن طريق بيروت

الى انطون لوران[2] مستشار الحكومة النمسوية وقنصلها في الاسكندرية

اتشرف بان افيدكم، ان لم تكونوا بعد على علم من ذلك، ان

(١) مقاطعة الشوف من لبنان الجنوبي

(٢) Laurin

جبل لبنان قد وقع تحت سلطة الحكومة المصرية . احتلته الجنود المصرية في ٢٨ ايلول الماضي من غير ان تلقى ادنى مقاومة . وهذا يدل على ان هذا الامر تم برضى الامير بشير واتفاقه مع ابرهيم باشا . وسعادتـه الان موجود في دير القمر حيث يراقب نزع السلاح من كل اللبنانيين من دروز ومسلمين ومسيحيين . حتى اذا انتهى من هذه المهمة اهتم بامر التجنيد الذي لا بد ان يتم بدون صعوبة

٣٤

الزلازل في سوريا

صيدا في ٧ ك ٢ ١٨٣٧ . (عن الايطالية ص ٢٧٠)

الى الكاڤالير پيتشوتو قنصل النمسا في حلب

مساء البارح انتشر هنا خبر نكبة شديدة حلت في صفد وطبريه وجوارها مسببة عن زلزال هائل حدث في اول الجاري . ولما كنت غير ميال الى تصديق الاشاعات التي لا تخلو من المبالغة ارسلت شخصاً خاصاً للوقوف على الحقيقة . لان الروايات التي بلغتني تنبئ بخسارة تسعة اعشار الاهالي والمنازل

وفُقد في صيدا من جراء هـذه الهزة اربعة او خمسة انفس وخربت بيوت كثيرة . وتهدم فيها المعسكر الفرنسوي كله تقريباً . والخسارة في المال والارواح في بعض القرى اعظم من هنا

٣٥

الزلزال . تجارة حيفا وصيدا

صيدا في ٩ ك ٢ ١٨٣٧ . (عن الايطالية ص ٢٧٢)

الى الاسكندرية الى الخواجا دمريكر[1] قنصل جلالة الملك في دمشق

لا بد انكم سمعتم انه في اليوم الاول من هذه السنة شعرنا في هذه الجهات بهزات زلزال عنيف وطويل . الى الان لم نعرف بالضبط الخسائر الناتجة عنه ولكننا سمعنا ان صفد وطبريه قد خربتا تقريباً ومات اكثر سكانهما . وقد فقدنا في صيدا بعض الانفس واصبح قسم كبير من البيوت غير صالح للسكن وحلت خسائر كبيرة بقرى كثيرة مجاورة لنا . ويقال ان ثلث البيوت في الناصرة قد سقط . ولحق دير البشارة فيها عطل جسيم . والى الان ما زلنا نشعر بهزات

وقد بلغكم أني، بعد ان مكثت في عكا ٤٤ سنة، اضطررت الى هجرها بسبب الحصار الذي أنزل بها خسائر جسيمة . ولم يعد ثمت مجال للعمل في مدينة قد اصبحت قلعة . فانتقلت الى صيـدا التابعة لهذه القنصلية

وقد تحولت كل تجارة عكا بعـد فتحها الى حيفا حيث عينت احد اولادي في وظيفة وكيل قنصل النمسا وامرته ان يهتم ايضاً بشؤون اصحاب المراكب والمارين من رعايا دولة الدنمرك . فان بعض المراكب الفرنسوية والنمسوية والسردينية تقصد هذا الميناء لشحن

---

(١) Dumreicher

قطن عكا ونابلس الى اسواق اوربا[1] . اما صيدا فتقتصر تجارتها على الدخان الصادر الى مصر وعلى قليل من الحرير . وهي تستورد بدلاً من هذين الصنفين بعض الاقمشة والارز وبعض المأكولات

٣٦

خسائر الزلازل في سوريا وفلسطين

في ١٠ ك ٢ ١٨٣٧ . (عن الايطالية)

الى الخواجا لوران في الاسكندرية

اقدم لكم تهانئي بعيد رأس السنة الجديدة وكنت اشتهي ان يبدأ هذا العام بخلاف ما بدأ به . واراني مضطراً الى ان اطلعكم على النكبة الناتجة في هذه الجهات من هزات زلزال غير عادية شعرنا بها في اول الجاري قبل غروب الشمس ببضع دقائق

وخلاصة التقارير التي بلغتني الى الآن ان اعظم الخسائر حلت في صفد، اذ لم ينجُ من هذه المدينة الغاصة بالسكان سوى اربعمائة نفس والباقون ذهبوا ضحية الزلزال[2] . وقد هلك في طبريه اكثر من خمسمائة نفس وجرح نحو الاربعين . وكانت خسائر القرى الاخرى متفاوتة . وفقدنا في صيدا تسعة اشخاص وجرح فيها ثلاثة منهم السيدة قرينة الخواجا كونتي التي انكسرت رجلها . وتصدعت كل منازل المدينة وسقط نحو عشرين منها، واصبح كثير منها غير صالح للسكن

(١) راجع ما قلناه عن زراعة القطن في لبنان والجليل في كتابنا « فخر الدين ودولة تسكانا » ١ : ٥١ و ٢ : ٤٩

(٢) يقول في ص ٢٧٦ « وقد مات الف وخمسمائة يهودي في صفد فقط »

سليمان باشا والخواجا لابي سافرا في ٦ الجاري الى الناصرة ليلتحقا بابرهيم باشا . وجاءت عائلتاهما فسكنتا الطبقة الارضية من بيتي للعطل الذي طرأ على منزليهما

اما الحكومة فلم تبدِ حتى الان ادنى استعداد لمساعدة المنكوبين او على الاقل لتقديم الوسائل اللازمة لهدم المنازل المتداعية التي قد تجر معها اذا سقطت بيوتاً اخرى

٣٧

مطالب محمد علي باشا من السلطان

في ١٠ آذار ١٨٣٧ . (عن الايطالية ص ٢٨٨)

الى الخواجا بيتشوتو في حلب

ربما علمتم بمجيء رامي افندي موفداً من الباب العالي الى مصر للاتفاق مع الخديوي على ما طلبه بان تكون ولايته للبلاد الواقعة الان في حكمه ووراثية في اسرته . وهي بلاد مصر وسنار والحجاز وسوريا . وان يلتزم لقاء ذلك بتقديم مبلغ معلوم سنوياً للسلطان . اما علاقته مع الباب العالي فتصبح مماثلة لعلاقة السيادة التي تعترف بها ممالك الغرب الاقصى . ويقال ان هذا هو السبب الذي حمل ابرهيم باشا على ان يقصد الى القاهرة لحضور المؤتمر الذي يعقد فيها لهذا الغرض

وقيل من جهة اخرى ان السلطان طلب من محمد علي ان يتنازل عن حلب وعن كل البلاد الواقعة بين هذه الولاية[1] والاراضي الباقية

(١) Pascialik

للباب العالي، وان محمد علي اجابه انه لا يتنازل عن قرية واحدة من ولايته الحاضرة. بقي ان نعرف رأي الدول الاوربية في هذه الامور. وسنعرف عن قريب نتيجة هذه المفاوضات

٣٨

التجنيد وطريقته

في ٤ ت ٢ ١٨٣٧ . (عن الايطالية ص ٣٢٣)

الى بيتشوتو في حلب

في ٣٠ من الشهر المنصرم وصل الى هنا سعادة سليمان باشا ومحمد باشا عائدين من حيفا حيث دعاهما ابرهيم باشا. وبهذه المناسبة علمنا ان سليم باشا(١) انسحب من وجه عصاة جبل غور الاخضر. وان حاكم غزه انهزم ايضاً من امام عرب العنزه بدو الصحراء. وفي هذه الغضون بدأت في سوريا كلها حركة التجنيد الاجباري الجديدة. ويقال انها ستجمع سبعة الاف رجل. وقد جُند من صيدا وحدها خمسون شاباً

وكانت السلطة قد سلحت الف عسكري بالنبابيت الغليظة. وفي ليلة ٢٤ تشرين الاول هجموا على كل منازل المدينة. ولم تمضِ ساعة حتى قادوا الى السراي اكثر من خمسمائة نفر من كل المذاهب. ونهبوا من البيوت ما وصلت اليه ايديهم، مما خف حمله وغلا ثمنه. وقيل انها تقدمت على اثر هذه الحادثة الى المراجع الادارية مطالبات

(١) من اشهر قواد حملة ابرهيم باشا وقد ورد ذكره مراراً في كتابنا «حروب ابرهيم باشا» راجع هذا الاسم في الفهرست

كثيرة بالتعويض، بلغت قيمتها زهاء مئة وخمسين كيساً. واقفلت الدكاكين ولم يعد في السوق خبز يباع، لان ليس من يجسر على الخروج من المدينة في طلب القمح خوفاً من ان يؤخذ للعسكرية

اما ابرهيم باشا فقد شوهد يركب البحر من بيروت متجهاً الى شمال سوريا. ويرجح انه قاصد الى السويديه

تسلم المدير الجديد منصبه. وهو الشيخ محمود عبد الهادي اخو المتوفى. اما محمد باشا فسافر من هنا في اول الجاري قاصداً الى حماة. وجرت ترقيات كثيرة بين الضباط بسبب تأليف الآلايات الجديدة. ويُنظم الان استعراض عام لجميع الجيوش النازلة بسوريا وسيقصد سليمان باشا لهذه الغاية الى بعلبك والى جهات اخرى. وقد أوفد بعض الباشوات للغرض نفسه الى اماكن غيرها. وسمعت ان مهمة سعادته تستغرق شهراً كاملا

٣٩

ثورة حوران

في ٢١ ايار ١٨٣٨ . (عن الفرنسوية ص ٣٤٩ - ٣٥١)

الى البارون دي ستورمر(١) سفير امبراطور النمسا في الاستانة

١ - وصف اللجاه - مركز الثورة في جبل يدعى «لجا جبل دروز حوران». وهو يبعد عن دمشق نهاراً ونصف نهار. يبلغ طوله ١٢ الى ١٤ ساعة(٢) وعرضه ست الى سبع ساعات. وفيه زهاء

(١) De Stürmer

(٢) في الاصل lieue وهو قياس يعادل ثلاثة اميال

سبعة او ثمانية آلاف رجل بين دروز وبدو ولاجئين من سوريا . يقال ان لديهم موَن وافرة وينابيع مياه غزيرة

في مدخل اللجاه ووسطه قطع ضخمة من صخور بركانية سوداء، واقفة عمودياً يختبئ وراءها الثوار . فضلاً عن هوّات ومنفرجات تؤلف خنادق وسراديب يضيع فيها الغريب . فيستحيل على السواري اجتياز هذا الجبل لوعورته . اما المشاة فيعرضون لخسائر جسيمة، لان العدو مستتر امامهم

لم يحسب الجيش المصري لهذه العراقيل الطبيعية حساباً، الا بعد ان كابد خسائر فادحة وانكسر مراراً . وفي احدى المواقع قُتل احد الباشاوات، واللواء محمد باشا . وجُرح منقلي باشا . وصرع اميرالاى وكثير من الضباط . اما القتلى والجرحى من الجنود فلا يعرف عددهم بالضبط

والجيش المصري معسكر الان في تبنه، على بعد ساعتين من اللجاه . ويقال انه مؤلف من ستة آلايات بيـاده، ومن ثلاثة الى اربعة آلاف ارناؤوطي، ومن آلاي سواري، ومن الفين الى ثلاثة آلاف خيال من البدو، انحاز اخيراً الف وخمسمائة منهم الى الثوار

٢ ـ اشاعة الصلح ـ وفي آخر نيسان المنصرم شاع خبر مؤداه ان ابرهيم باشا القائد العام قد توصل الى اخضاع الثوار . بيد ان هذا الخبر لم يتحقق . وكنا قد تلقيناه بالحذر لصدوره من معسكر تبنه . وزدنا شكاً في صحته لما علمنا ان القائد العام اوفد بريداً مستعجلاً الى مصر . نعم جرت بعض مفاوضات في هذا الصدد حملت ابرهيم باشا على ان يعلل النفس بحمل الثوار على القاء السلاح . فقد ارسل

الى معسكر اللجاه، على اثر ذلك الخضوع المزعوم، ضابطاً مصحوباً ببعض الجنود، ليجمع السلاح من الثوار . فقابله هؤلاء بكل اكرام وذبحوا له خروفاً . ولما انتهى الضابط من الطعام فاتحهم في امر مهمته . فاجابه احد المشايخ « على شرط ان يقوم العسكر من تبنه، قبل كل شيء، وان ينحصر الجيش كله في دمشق، ما عدا ثلثمائة ام اربعمائة جندي» . ولما اراد الضابط ان يدلي بملاحظاته على هذه الشروط، التي هي شروط الآمر، ناسياً انه يخاطب عصاة، سمع آلافاً من الاصوات تردد هذا التهديد « فليستعد اذن ابرهيم باشا ان يصيبه ما اصاب هذا الخروف الذي ذبحناه » . فالقى هذا الكلام في قلب الضابط ورفقائه الرعب والذهول . وقنع من الغنيمة بالسلامة

٣ ـ الهجوم ـ ولما تلقى ابرهيم باشا هذا الجواب الوقح استشاط غضباً ووطد النية على الاقتصاص من هذه الجسارة واخماد هـذه الثورة المستعصية . فامر الجيش ان يستعد للهجوم على اللجاه . ونفذ الامر في اول الجاري . بيد انه حتى الان لم ينل جيشه انتصاراً يذكر، بل كان فوزه ضئيلاً . ويسهل فهم السبب اذا علمنا ان عليه ان يتقدم ببطء وحذر، وان يقف تقريباً بعد كل خطوة، للعقبات الطبيعية التي تعترضه، ولدفاع الثوار المستبسل . وقد تمكن من ردم بعض الآبار . على ان الينابيع في هذا الجبل غزيرة، ويستحيل عليه امتلاكه بالعطش . وخسائر جيشه تفوق دائماً خسائر الثوار . ومراراً يقع في الاشراك التي ينصبونها له . وقد آل امره الى الضعف لتكرار خسائره . ويؤكد بعضهم ان ابرهيم باشا قد صمم على مهاجمة الجبل بكل قواته، بعد ان يقسمها خمسة اقسام

ذلك وصف الحالة على وجه التقريب . وقد جاء استمرار هذه الثورة خمسة اشهر متوالية ضغثاً على ابالة في بلاد سوريا التعسة . لان نتائجها وخيمة . فالمواصلات مع دمشق اصبحت في حكم المقطوعة . وكثيراً ما تشاهد جثث القتلى ملقاة على الطريق . وقد اوقف اخيراً البريد الانكليزي القادم من دمشق الى بيروت ، وسُلبت منه رزم من الطرود المرسلة الى هذا الثغر

وقعت بعض اصابات بالطاعون في بيروت وضواحي طرابلس . نسأل المولى ان يرفع عنا كل هذه الضربات

٤٠

انضمام دروز لبنان الى الثوار

في ١٨ حزيران ١٨٣٨ . (عن الفرنسوية ص ٣٦٢)

الى البارون دي ستورمر سفير النمسا في الاستانة

يظهر ان ثورة حوران، التي بدأت في رمضان، ليست على وشك الانتهاء . لا بل قد اتخذت شكلًا اكثر خطورة . لان كثيرين من دروز لبنان انضموا الى اخوانهم في اللجاه واستولوا على جملة قرى . منها راشيا، التي ذبحوا حاكمها، وحاصبيا، التي فرّ متسلمها . ويدّعي هؤلاء العصاة انهم يعملون باوامر السلطان محمود . وربما كانت هذه الثورة اوخم عاقبة من الاولى، لان ابرهيم باشا منهمك في اللجاه، ولا يسعه قمعها قبل استفحالها

ان حالة سوريا يُرثى لها، واهلها في مأزق حرج للغاية

٤١

تسلح المسيحيين في لبنان

في ٦ تموز ١٨٣٨ . (عن الايطالية ص ٣٦٤)

الى الكافالير پيتشوتو في حلب

لقد انتقل ميدان الحرب الاكبر الى جهات حاصبيا وراشيا، حيث اجتمع كل دروز لبنان . ولا يزال قسم من الثوار في اللجاه، الامر الذي اجبر معسكر تبنه ان يظل هناك . وقصد اخيراً ابرهيم باشا الى راشيا على رأس سبعة او ثمانية آلاف رجل وبعض المدافع . ولحقه ايضاً من خمسمائة الى ستمائة مقاتل من النابلسيين المسلمين . وهناك جيوش غيرها على اهبة التوجه الى هذا الميدان . وقد سُلح نصارى الجبل لشد إزر ابرهيم باشا واملنا ان يقرب الوقت، الذي نرى فيه نهاية هذه المأساة

٤٢

قمع الثورة

في ٢٢ ايلول ١٨٣٨ . (عن الايطالية ص ٣٦٨)

الى الكافالير پيتشوتو في حلب

ان خبر انتهاء ثورة حوران قد اثلج قلب كل محب للسلام . نرجو ان يدوم الحال على هذا المنوال

حاشية . لقد سرت اشاعة فتنة جديدة تدبّر في اللجاه، مسبّبة

عن الطرق العنيفة التي يستخدمها شريف باشا[1] في تجريد السكان من السلاح . حتى انه لا يسمح لهم ببعض السلاح اللازم للدفاع عن النفس

٤٣

معاكسة ابرهيم باشا للتجار[2]

في ١٣ شباط ١٨٣٩ . (عن الايطالية ص ٣٨٧)

الى الخواجا انطون لوران قنصل النمسا العام في الاسكندرية وتوابعها

بلغكم بلا شك من تقارير السيد لابي وابني لويس الى اي حد بلغت تعديات ابرهيم باشا على القناصل والتجار الاوربيين، منذ اواخر كانون الاول الماضي حتى الان . وحالما علمت بذلك كلفت السيد ڤكتور برنار كنشلير القنصلية، الذهاب الى عكا والاطلاع بنفسه على حقيقة الامر . ولما وصل الى هناك وجد القناصل والتجار قد وقعوا احتجاجاً سردوا فيه كل هذه التعديات، وان النمسويين قد وكلوا الى السيد لابي الدفاع عنهم لدى سليمان باشا في القضية التي رفعها عليهم ابرهيم باشا . واشاروا على السيد برنار ان يترك هذه القضية في يد السيد لابي، مثنين ثناء عاطراً على غيرته

(١) حاكم دمشق من قبل الحكومة المصرية

(٢) ننشر الوثائق الخاصة بهذه المشكلة، لانها كانت من الاسباب التي حملت الدول الاوربية على الانضمام الى رأي انكلترا والعمل معها على اعادة سوريا الى الدولة العثمانية . وكان قصد ابرهيم باشا تخليص الوطنيين من سيطرة المرابين الاوربيين على موارد البلاد . فقد كانوا يسلفون الفلاح على المحصول ويشترونه بالاسعار التي توافقهم

وذكائه . فوافقهم على ذلك ومدح من همة المذكور . واني اعدّ نفسي في حلٍّ من تقديم نسخة من هذا الاحتجاج الى حضرتكم، لان السيد لابي قد بعث اليكم بصورة منه

١ – توقيف مستخدمي القناصل والتجار – بدأ ابرهيم باشا اضطهاده بتوقيف مستخدمي القناصل والتجار الاوربيين واستعمال العنف والقسوة معهم . فقد ساق ثمانية عشر منهم مكبلين الى سجون عكا، بعد ان طاف بهم في قرى عديدة ليكونوا هزءاً للفلاحين ومشهداً لاذلال الاوربيين ومقدرة سعادته . واقتصرت الترضية عن هذه الاهانة الفظيعة على اطلاق سراح المذكورين وتوقيف عمال الحكومة، الذين امسكوهم، اربعة ايام، ثم عزلهم وحرمانهم التوظف في دوائر الحكومة المصرية . وفي نظري ان هؤلاء الموظفين لم يُقدموا على ذلك الا تنفيذاً للاوامر الصادرة اليهم من سعادته، فلا يستحقون كل هذا القصاص . ومهما كان الامر فهذه الترضية غير كافية للتكفير عن الاهانة الفظيعة، وللتعويض عن الاضرار التي لحقت من جرائها بالاوربيين الذين ينتظرون من قناصلهم، الواقفين على واقعة الحال، ان يعيروها جد الاهتمام، ويقوموا قومة واحدة للاحتجاج على بقية الاهانات والتعديات، الصادرة بحقهم من سعادته . ومع اني واثق ان السيد لابي قد اطلعكم عليها رأيت من واجبي ان اعيد الى ذهنكم حقائقها، مستنداً الى عريضة مؤرخة في ٢٢ كانون الثاني، رفعها الي ابني لويس بصفة كوني وكيلاً لقنصل جلالة الملك، اطوي هنا نسخة منها، خوفاً من ان انسى شيئاً منها

ومنها تقفون باختصار على تفاصيل الاضطهاد، الذي اثاره ابرهيم باشا على التجار الاوربيين منـذ وصوله الى عكا؛ الامر الذي لم يسمع قط مثله في عهد الدولة العثمانية . ولما لم يكن من مسوغ لهذه الخطة، جاز لنا الاستنتاج، ان الغاية الوحيدة التي يرمي اليها سعادته هي اذلال الاوربيين وتعطيل مصالحهم في هـذه الجهات، وخرابها ان امكن . فقد باتوا حقيرين في اعين هذه الشعوب الجاهلة، بعد الاجراءات الاستبدادية التي اتخذها ضد مستخدميهم . وتحملت تجارتهم اضراراً لا تقدر، وانحطت الى درجة لم يجسر بعدها احد منهم على عقد صفقة ما، مهما كانت زهيدة . بيد ان سعادته قد القى على عاتقه مسؤولية خطيرة بالوسائل الغريبة الاستبداديـة التي استخدمها

أيجهل ان لكل المحلات التجارية المؤسسة في عكا شركاء في الشرق والغرب، مُنوا بالخسائر التي انزلها بها، فلا يحجمون عن رفع احتجاجاتهم الى اولياء شؤونهم؟ وانه قد اهان في حيفا وكيل قنصل النمسا، والوكيلين الفرنسوي والانكليزي، ونائب قنصل سردينيا، واصحاب ثلاث مؤسسات انكليزية ومؤسسة فرنسوية ؟ وانه ألحق ايضاً في عكا الاهانة بالوكيل البريطاني وبمحامين نمسويين، ومحل آخر موضوع تحت حماية دولة روسيا ؟

ها قد مضى شهران والتجارة الاوربية مشلولة . فقد توقفت كل المعاملات، ورفض المدينون الدفع، ولم يعد احد يحترم ميعاد تسليم البضاعة المشتراة، واصبح البائعون يتصرفون بجزء مما باعوه

كل هذا نتيجة مسلك سعادته تجاه الاوربيين

٢ – تواطؤ الحكومة – اما الحكومة فقد انتهزت فرصة هـذه التصرفات الغير المشروعة، التي شجعتها بنفسها، لتحصّل حالاً اموالها من الفلاحين . ولم تكتفِ بذلك بل حرضت الفلاح على التشكي من معاملة الاوربيين له، ولقنته كيف يحرّف حساباته، واكدت له ضرورة اعادة النظر في كل هذه الحسابات، ابتداءً من السنة ١٢٥١ هجرية(١)، واقنعته ان يتخلص بهذه الاساليب من ديونه للاوربيين . وفعلاً قد ارسل سعادته الى كل قرية تابعة لولاية عكا خبراء يطلعون على حسابات الفلاحين مع الاوربيين ويحرّفونها . والحق يقال اننا لم نرَ قط مثل هذا التحدي والظلم في غير هذه من البلدان، ولا يمكن الخبث ان يتجاوز هذا الحد، حتى عند الشعوب غير المتمدنة

وقد يرغب ابرهيم باشا في السماح للتجار بتسليف المال بفائدة ٢٥ في المئة، كما يفعل هو . بيد ان كل الشرائع تحرم هذه الفائدة . وهي مضادة لروح الشريعة الاسلامية . والذين يأخذون المال بهذه الفائدة يحق لهم ان يرجعوا عن عهدهم متى شاؤوا، ويعدّوها رباءً ظاهراً . فكل ما تسمح به الشريعة الاسلامية منحصر في كلمتي « استلام وتسليم(٢) »، اي تسليف النقود على غلة وتسلمها عند الحصول القادم بحسب الصنف والكمية، اللذين يجب تعيينهما في العقـد . فكان التجار الاوربيون يعقدون الصفقات في عكا وحيفا مشياً على هذه الطريقة العادلة، ويدعمونها بالوثائق والضمانات، بحسب الاصول المرعية في هذه البلاد . واكثر هذه العقود كانت تُكتب امام القضاة

(١) تبدأ في ٢١ نيسان ١٨٢٥

(٢) في الاصل سلام وتسليم « Salam et Teslim »

الشرعيين، فيمهرونها بامضاءاتهم للموافقة . فابرهيم باشا لا يستطيع ولا يحق له ان يلغيها

٣ ـ مسلك ابرهيم باشا ـ ومما أثّر في هذه القضية المزعجة البغض الذي اظهره ابرهيم باشا لاسرتي، وخصوصاً لابني لويس، الذي تقيد في خدمته تقريباً من اول وصوله الى سوريا، مع ان هذه الخدمة كانت ضد مصلحته، وخطراً على حياته[1] . وقد علمت من كتاب وجهه الى ابني المذكور ان سبب انقلاب سعادته عليه هو طلبه منه ان يكذب جهاراً وكتابةً ما جاء في عريضة الاحتجاج، التي امضاها اسوة ببقية القناصل والتجار، فتمنع ابني عن التكذيب حرصاً على شرف امضائه . ومن ذلك الحين اخذ سعادته ينفث غضبه على افراد اسرتي، وخاصة على ابني لويس . وهو السبب الذي حمل فيليب كتافاكو[2] على ان يترك الاراضي التي التزمها لثلاث سنين، معما يعود عليه ذلك من الاضرار، كي لا يعرض نفسه لتعديات الفلاحين بتحريض الحكومة

قد يكون ابرهيم باشا جندياً باسلاً، بيد اني اجرؤ على القول انه غير صالح للادارة . لانه بدلاً من ان يكتسب محبة الشعب يضطهده فيحمله على كرهه

والشعب يتشبه الان بالحكومة في ظلمه للاوربيين . وقد كان الرهبان الفرنسيسكان والكرمليتان اول من شعروا بذلك ؛ لان الوطنيين ينازعون الاولين على ملكية كنيسة قانا الجليل، والثانين على ملكية طاحون خاصة دير جبل الكرمل

(١) يشير في محل آخر الى انه خاطر بحياته في نابلس لاجل ابرهيم باشا

(٢) شقيق الكاتب

اما سليمان باشا فغير راضٍ عن هذه الامور غير القانونية . بيد انه لا يستطيع ان يتداركها لان بجانبه بكري بك . وهو رجل عنيد، ومصمم على تنفيذ رغائب ابرهيم باشا . وعلمت اخيراً ان القنصل البريطاني في بيروت كتب اخيراً الى القائد العام[1] كتاباً هذا نصه على وجه التقريب « ان الاضطهاد الذي شهره ابرهيم باشا على جميع الاوربيين في عكا وحيفا اضطر الرعايا الانكليز ان يلجأوا الى بيروت . فلا يسعني ان امتنع عن اطلاع حكومتي على امرهم، واطلب الترضية عن توقيف مستخدميهم . واود ان اعرف هل بامكانهم ان يعودوا الى مراكز اعمالهم التجارية في تلك الجهات بلا خوف على اشخاصهم، وان يطالبوا بديونهم من نقد وبضائع ويحصلوا عليها، وبالتعويضات عن الاضرار التي لحقت بهم »

والى الان لم يفز احد بترضية ما

٤٤

طريقة التعدي على الاوربيين

في ١٨ شباط ١٨٣٩ . (عن الايطالية ص ٣٩٢-٣٩٧)

الى الكاڤالير بيتشوتو في حلب

... بلغني ان القناصل في مصر رفعوا الى الاستانة شكواهم على ابرهيم باشا الامر الذي يجيز لنا الظن انهم لم يفلحوا لدى خديوي مصر

(١) Maggior Generale ويعني سليمان باشا

لا يجوز لابرهيم باشا الغاء معاهدات الوطنيين على انفسهم، في السلفيات التي اخذوها، ولا انتقاد التجار الاوربيين في ما يعمله رعاياه وشركاؤه انفسهم . لاسيما وان التجار المذكورين لا ينزلون الضرر بالفلاح او بالحكومة، بل يخدمون كليهما بالمبالغ التي يسلفونها له ليسدد اقساط الحكومة في ميعادها وفي غير ميعادها . ولا يسعه ان يعتبر معاملة التجار الاوربيين للفلاح غير قانونية ومجحفة بحقه، لانه لم يتذمر قط احد منهم، وان تذمر الان فمن وراء تحريض الحكومة له. وسعادته يدّعي ان التاجر الاوربي قد ربح في السنتين والنصف الاخيرة المئة مئة، ويشجب هذا الربح علناً . فلنفرض ان تقديره صحيح، فلنا الحق بلفت نظره الى الربح الذي اصابه شركاؤه بالطريقة عينها، فقد تجاوز ١٦٥ في المئة . وفرق العملة قد عاد على سعادته بربح يعادل ٣١٦٧ في المئة، كما هو معلوم عند الجميع

ولما كان سعادته يصرف همه الى معرفة ارباح التاجر، مع انها لا توجد سوى في مخيلته، لمَ لا يقدّر في الوقت نفسه الخسائر التي يتعرض لها التاجر في مثل هذه الصفقات ؟ أيجهل ما اصاب تجاراً كثيرين في السنة ١٨٣٧ من الازمة المالية التي استحكمت حلقاتها في تلك السنة، ومن التفاليس العديدة وهبوط اسعار الاقطان في الشرق ؟

كان الواجب على سعادته ان يتروى قبل الاقدام على الخطة غير المشروعة التي اتخذها ضد التجار الاوربيين في عكا وحيفا، ونفذها بقسوة وظلم، معرّضاً مصالحهم لاهواء شعب متشبع من روح الثورة، دون ان يفكر بالعواقب الوخيمة، التي قد تنجم عن هذا المسلك

قابل بعض التجار من مدة القائد العام سليمان باشا، وقدموا له طلباً عما يستحق لهم على بعض الفلاحين . فاستدعاهم، فاقروا بديونهم . ولما سألهم عن سبب تأخرهم عن تسديدها اجابوه انهم نزلوا على اوامر ديوان التفتيش(1) في عكا . فرفع سليمان باشا حالاً تقريراً بالامر الى سعادته . فاجابه « انه لم يُصدِر امراً مثل هذا » . بيد أنه لم يأمر المديونين بالدفع

٤٥

استمرار الاضطهاد . الخوف من الثورة

في ٥ آذار ١٨٣٩ . (عن الايطالية ص ٣٩٨)

الى السيد اليانو پيتشوتو قنصل النمسا في حلب

يسوءني ان اخبركم ان الاضطهاد، الذي أثير على مواطنينا التجار وغيرهم من الاوربيين في عكا وحيفا، سائر سيره، وان شكاويهم لا تلقى اذناً صاغية . فهم عاجزون عن استرداد اموالهم . ومصالحهم يُضحّى بها من كل الوجوه . ولا امل بوضع حد لهذه الخسائر . وقد حملت هذه الحالة الشاذة الرعايا الاوربيين على تجديد احتجاجهم في ١٩ الجاري . وصورة هذا الاحتجاج واصلة لكم طيه، مع الامل ان تعيروه الاهتمام اللازم

يظهر ان ابرهيم باشا موجس خوفاً من ثورة في سوريا، او من انتقاض عام، لان السلاح يُجمع بقسوة شديدة في كل مدينة وقرية .

(1) Divano inquisitorio

وقد دُعي الى عكا كل حكام المقاطعات، لتلقي اوامر القيام بتجنيد جديد . وصدرت اوامر لجمع الخيل اللازمة للسواري

٤٦

اضطهاد لابي . الحرب مع الدولة العثمانية

في ١١ آذار ١٨٣٩ . (عن الفرنسوية ص ٤٠٠)

الى الكافالير بيتشوتو في حلب

ارسلت السيد برنار الى عكا لمساعدة مواطنينا في احتجاجهم الجديد على الحكومة . لذلك تروني مضطراً ان اكتب اليكم بالفرنسوية[1]

تلقيت من قنصل الاسكندرية رسالة انقل اليكم منها الفقرة التالية : « اقامة السيد لابي لدى سليمان باشا يجب ان تبطل . وساكتب الى الكفالير بيتشوتو ان يبدله بشخص آخر، الى ان يزول الاستياء الذي يبديه الآن السر عسكر بغير حق منه ومن اسرته »

وصل الى هنا سليمان باشا، تاركاً الاشغال التي كانت تتطلب حضوره في عكا . وهو يستعد للحاق بابرهيم باشا الى حماة

من النشاط البادي في حركات اولياء الامر يظهر ان الحرب مع الباب العالي اصبحت في حكم المقررة . التجنيد متواصل في كل مكان. والحكام في حيرة من تدبير عدد المجندين المطلوب منهم

احوال حوران على ما هي، مع انهم يؤكدون ان الثوار قد

(١) هذا دليل على ان التقارير السابقة المكتوبة بالايطالية هي من قلم السيد برنار

تركوا نهائياً اللجاه والصفا[1] . طرق دمشق وحاصبيا وراشيا لا تزال غير امينة

اما حركات العسكر على الحدود فانتم ادرى بها مني . لذلك ارجو منكم الافادة عما تعرفونه من هذا القبيل، لاتخذ الحيطة لتأمين ارواح مواطنينا واموالهم

٤٧

جهود السيد لابي في تسوية المشكلة

في ١٤ آذار ١٨٣٩ . (عن الفرنسوية ص ٤٠١)

الى انطون لوران قنصل النمسا العام في الاسكندرية

١ - ما توصل اليه - لولا توسط السيد لابي لديست حقوق التجار ومصالحهم، ليس في عكا وحيفا فقط، بل في كل جهات سوريا ايضاً

ان الضربة التي أعدّها ابرهيم باشا كانت ترمي الى القضاء على تجارة الاوربيين قضاء تاماً . ولما كان في نية سعادته ان يبدأ حملاته على الجهة التي يلاقي فيها اقل مقاومة، جمع كل قواه على عكا وحيفا . والحق يقال انه لولا صمود السيد لابي في وجهه لتكللت مساعي سعادته بالنجاح التام

وفي الواقع، لم يكن بوسعي، وانا احد اصحاب العلاقة بهذه

(١) جبل بركاني يشتد فيه الحر صيفاً وتنضب الينابيع، فيهجره اهله في ذاك الفصل الى حيث يجدون الماء والكلاء.

المشكلة، المعقدة تعقيداً شيطانياً، ان اعالجها بالروية وضبط النفس اللازمين في مثل هذه الاحوال . ولاسيما بعد ان وجدت نفسي مهدداً بان اخسر في وقت واحد كل ما استطعت جمعه بشق النفس في مدة خمس وخمسين سنة

نعم اني توفقت في عهد الجزار الى حل مشاكل اكثر صعوبة من هذه، الامر الذي اولاني رضى رؤسائي واعجابهم . على انه لم يكن في ذاك العهد من محكمة سوى ديوان الوزير، وكان بوسعي ان اتمسك بالاتفاقات الدولية . واذا ذكرتها زال كل نزاع

وقد توصل السيد لابي، بعد مرافعات ومعالجات شتى، الى معاقبة الموظفين الذين اوقفوا مستخدمي الاوربيين، مع انهم لم يفعلوا سوى تنفيذ اوامر رؤسائهم . وتسنى له ايضاً ان يتسلم الغلال المشتراة من عبدالله بك، وتأجيل ما كانت الحكومة تنويه من مراجعة حسابات التجار الاوربيين مع الفلاحين عن السنين الثلاث الاخيرة . والفت نظركم الى ان الحكومة لم تتشبث باعادة النظر في هذه الحسابات سوى بقصد ان تحرم التجار الاوربيين، بشهود زور اشتراهم المديونون، ما يستحق لهم من الصفقات المعقود اكثرها امام القضاة الوطنيين . لو وقع هذا الامر، الذي لا اعرف كيف أنعته، لقلب الحق الاجتماعي رأساً على عقب، وفقد كل ضمان يحمي مواطنينا والعالم اجمع من النهب والسلب . لو قُبل هذا المبدأ لاصبح المالك معرضاً في اي وقت لخسارة امواله كلها . لان ايجاد الشهود الزور من اسهل الامور في سوريا . ولا تنفع المالك عندئذ وثائق التملك، التي احترمتها شرائع كل القرون

٢ – عواقب الاضطهاد – ولما كانت الحكومة معللة النفس ببلوغ اربها فقد حجزت كل الاموال التي وزعها الاوربيون في البلاد . وهي مؤلفة من السلفات الممنوحة للفلاح، ومن بيوع البضائع في ميعاد معين . وما دام هولاء التجار عاجزين عن الوصول الى الاموال الطائلة المستحقة لهم، فلا يسعهم اداء المستحق عليهم هنا او في اوربا . وهنا اترك لفطنتكم تقدير العواقب الوخيمة، التي قد تعود على التجارة من جراء هذه المراقبة الاستبدادية، التي لم يسبق لها مثيل في العالم

وان قيل انه تدبير موقت لا يطول امره، فهذا لا يمنع تاثيره السيّئ . لان الكل يعلم ان الشهرين الماضيين هما الفرصة الوحيدة في السنة، التي يسهل فيها على التاجر استرداد ماله من الفلاح . وقد اسرع المزارعون الى التصرف بحصولاتهم من زيت وقطن وغيرهما، ظناً منهم انهم قد تخلصوا من دينهم

واكثر هذه المحصولات قد باعها الفلاح من التجار للحصول على المال المطلوب للحكومة وشركائها . وفي حال فشل هذه الطريقة أعدت الحكومة غيرها اكثر دهاء، لا يسعني تصورها بغير ان ارتعش . ومؤداها ان تعلن الحكومة افلاس المديونين للاوربيين وتقرر عجزهم عن الدفع . تصوروا، لو نجحت الحكومة في هذه المكيدة، حال التجار، وحالي انا المشتبك في ثلاث مؤسسات في حيفا

كل ما تقدم يحملني على ان ارجو منكم باسمي واسم التجار النمسويين، تأجيل استدعاء السيد لابي، الضابط الممتاز، الذي لا

يمكن الاستغناء عن خدماته في سوريا، لا في الحال ولا في المستقبل

ولما رأى التجار النمسويون ان اموالهم يضحَّى بها بلا شفقة رفعوا الى السيد لابي احتجاجاً جديداً، ليبلغه بدوره الى اولي امرهم. ولا شك ان السيد لابي قد رفع هذا الاحتجاج اليكم فلا حاجة الى ارسال صورة منه. بل اكتفي بتقريري هذا ان اطالب باسمي واسم التجار من رعايا جلالة الامبراطور بكل النفقات والخسائر والفوائد ووقوف المعاملات التجارية ... الخ، التي نتجت وتنتج من تدابير الحكومة المصرية الحاضرة، وبالتعويض عن كل تأخير في دفع المبالغ المستحقة نقداً او بضاعةً. راجياً، يا حضرة المستشار، ان تبلغوا هذا الاحتجاج الى الروساء واولي الشأن، مؤيداً بملاحظاتكم

صح – سهوت ان الفت نظركم الى ان الجزار، وكان اكثر شراسة من جميع البشاوات المعروفين في سوريا، لما طرد الفرنسويين من ولايته، اجبر الجميع على احترام اموالهم وبضائعهم المتروكة في المخازن. ولم يسمح لاحد بمسها، حتى ابّان حملة الجيش الفرنسوي على مصر وسوريا

٤٨

الثورة في لبنان

في اول تموز ١٨٤٠. (عن الفرنسوية ص ٤٥٢-٤٥٥)

الى حضرة المستشار السيد ا. لوران قنصل النمسا العام في الاسكندرية

حضرة المستشار

١ – ثورة دير القمر – في السابع والعشرين من حزيران المنصرم

تسلمتُ البرقيتين اللتين شرفتموني بارسالهما في السادس وفي التاسع عشر من الشهر المذكور

ارجو منكم قبول خالص شكري على ما ضمنتموها من الانباء آملًا ان تواصلوني بهذه المنّة

ابدأ بتأييد ما اوردته لحضرتكم في كتابيَّ السابقين المؤرخين في الثاني وفي السادس من حزيران الاخير. في الاول اطلعتكم على الحوادث التي وقعت في لبنان في السابع والعشرين من ايار الماضي. كان سكان دير القمر السابقين الى اعلان الثورة. وقد نجحوا في حمل بعض اهالي الشحار والمناصف على مشاركتهم فيها. وبلغت بهم الجرأة ان هاجموا الجنود المصرية، الضاربة نطاقاً صحياً حول مدينة صيدا، وجرّدوهم من السلاح. وكان سعادة سليمان باشا، القائد العام، قد علم مقدماً بحركتهم فأدخل الى المدينة، قبل وصولهم بساعتين، جميع العساكر تقريباً، الا عشرين منهم اعتدى الثوار عليهم وجرحوا واحداً منهم. وقد نزعوا ايضاً سلاح ضابطين كانا في طريقهما الى بيروت، واخذوا خمسة رؤوس من خيل مصلحة البريد

هذا الفوز الضئيل شجّع اهالي الجبل على التمرد فهاجموا المطاحن واستولوا على كل قمح الحكومة فيها، وهددوا بتحويل الماء عن المدينة. فالجأوا بعملهم هذا القائد العام الى ان يجرد حملة عليهم. بيد انه اظهر في هذه الفرصة مظهراً آخر من الاعتدال الذي يتحلّى به هذا القائد الماهر والمدير الحكيم. فقد نهى جنوده عن الهجوم وامرهم بان يلزموا فقط خطة الدفاع عن نفوسهم

دامت هذه الحال خمسة ايام الى ان وعد الامير بشير هذه

الزمرة، التي لم تتجاوز الفاً او الفاً ومئتي رجل، ان يُبقي لها سلاحها ويعفيها من التجنيد في الجيش النظامي . فعاد أفرادها الى منازلهم .

وفي اليوم نفسه ارسل الامير الى القائد العام خيول البريد التي كانوا سلبوها . وبلغني ان الديارنة، اي سكان دير القمر، لما رأوا ان دروز الشوف قد تركوهم، ولم يتلقوا من بقية المقاطعات جواباً على تحارير التحريض التي اوفدوها، قد سلّموا على يد القنصل العام . ولدى عودتهم علموا ان المتنيين، اي سكان المتن، قد شقوا جميعاً عصا الطاعة، وانهم في طريقهم الى مهاجمة بيروت، مصممين على ان يفنوا على بكرة ابيهم أحرى من ان يتقهقروا . وقد اسرع الامير بشير فأوفد الى حرش بيروت، حيث اجتمعوا، ولده الامير امين، وعرض عليهم الشروط التي عرضها سابقاً على الديارنة . فلم يكتفوا بها بل زادوا عليها طالبين الاعفاء من الفردة وسخرة الفحم المعدني بضمانة احد ممثلي دول النمسا ام فرنسا ام انكلترا(1)

٢ – ثورة كسروان وجبيل والجبة – وبعد ايام قليلة أعلن العصيان اهالي كسروان وجبيل وجبة بشري. وجاء بعضهم فانضم الى المتنيين والبعض الآخر هاجم طرابلس . والقسم الثالث المؤلف من متاولة العاقوره وبعلبك، قصد الى جهات زحله، بقيادة الامير علي قايد بيه والاميرين خنجر ومحمد حرفوش، ليصدّ جيش عثمان باشا اذا حاول الزحف على لبنان

ويبذل الامير بشير كل الجهد في تفكيك عرى هذه الثورة، كخادم امين لمصلحة المصريين . وقد أفلح في فصل اهالي الشوف

(١) هذا يدل على ان اصبع هذه الدول كانت في هذه الثورة

والعرقوب وزحله عنها . منهم ثمانمئة او تسعمئة رجل جاؤوا الى بيت الدين، حيث تطوعوا وحلفوا يمين الاخلاص، فسلمهم الامير سلاحاً . بيد أنهم، على ما أكد لي البعض، اشترطوا عليه ان لا يحاربوا مواطنيهم، بل اذا حاول الجيش المصري دخول الاراضي اللبنانية، انضموا الى اخوانهم لصدّه

وقد ارسل الامير الى صيدا حفيديه الامير مجيد ابن الامير قاسم، والامير مسعود ابن الامير خليل، واصحبهما بأميري حاصبيا جهجه وبشير، وبالامير ارسلان وباربعة مشايخ من الدروز مع اربعين خادماً . فضلاً عن ان بكره الامير خليل والامير محمود يقيمان من عدة ايام في معسكر عثمان باشا بدرداره، جنوب زحله . بيد ان هذا المسلك أثار على الامير حفائظ اللبنانيين، حتى الذين كانوا الى ذاك الوقت مخلدين الى السكينة . فاجتمع في مزبود اكثر من الفي رجل من دير القمر والشحار والمناصف وهم يتوعدون بمحاصرة صيدا كما حاصر رفقاؤهم بيروت وطرابلس

لم يقع حتى الآن معارك فاصلة، مع ان لدى الحكومة المصرية من خمسة الى ستة آلاف جندي في صيدا، ومن ثلاثة الى اربعة آلاف في طرابلس، ومن عشرة الى اثني عشر الفاً في بيروت . ومثلهم في درداره . فضلاً عن الاحتياطي الذي عاهد النابلسيون على تقديمه عند الطلب . اما سليمان باشا فهو في بيروت منذ التاسع والعشرين من حزيران

في كل المعارك التي نشبت حتى الآن زادت خسائر المصريين على خسائر الثوار . وان صدّقنا تقارير الامير بشير فقد بلغت

خسارة الثوار في الوقعة الاخيرة مئتي قتيل وسبعين اسيرًا

يستفاد من التحارير الواردة اخيرًا من بيروت ان سكانها قد ساءت احوالهم ولم يعودوا آمنين على نفوسهم . فقد جرح احد الضباط المصريين فرنسويًا، ولما احجمت الحكومة المصرية عن معاقبته اعتزل القنصل الفرنسوي في بيته ورفع العلم عليه . وهذا الحادث لم يكن الوحيد من نوعه بل لحقه مقتل خادم انكليزي، الامر الذي حدا الفرنسويين على هجر المدينة . وخلاصة القول ان الجنود المصريين يرتكبون كثيرًا من الفظائع في تلك المدينة

انا لا اتوانى عن تبليغ حضرتكم كل ما يصل الى علمي عن ثورة الجبل . واقبلوا مزيد احترامي

٤٩

هجوم الثوار . فظائع الارناووط

في ٩ تموز ١٨٤٠ . (عن الفرنسوية ص ٥٥٨-٥٥٩)

الى السيد لورلّا[1] وكيل قنصل النمسا في بيروت

زميلي العزيز

وردتني الرسائل الثلاث التي وجهتموها الي في ١٤ و٢٢ و٢٣ حزيران الماضي وسرني خبر ارسال الطرود التسعة خاصة المرحوم لابي الى الاسكندرية على يد الريّس علي شكري الدمياطي . شكرًا على الانباء التي مننتم بها علي عن حركة الثوار في جهاتكم

(١) Lourella

راجيًا مواصلتها . اما ثوارنا فمجتمعون في مزبود وساعون جهدهم لتكثير عددهم، الذي بلغ من الفين وخمسمئة الى ثلاثة آلاف مقاتل .

يوم الاحد الماضي في الخامس من الشهر الحالي هاجم سبعة وستون منهم آلايين مصريين كانا يحتلان قمتين قريبتين من قرية علمان . وقد اسرع الامراء بآلاي من الفرسان الى نجدتهما فهزموا المعتدين، واغلبهم من دير القمر، وقتلوا منهم تسعة وجرحوا اربعة . وقُتل من المصريين ستة عشر، بينهم ضابطان، وجرح عشرون

تعجّ مدينتنا بالارناؤوط القادمين اليوم من بيروت، وهم يبيعون في السوق ما سلبوه في طريقهم . فقد نهبوا كل القرى التي مروا بها، حتى الجيّه الخاصة بالاميرة . ونهبوا ايضًا وأحرقوا اربع كنائس مارونية . ولدى وصولهم قتلوا المكارين الذين سخروهم في بيروت بنقل لوازمهم . وبغال هؤلاء المنكودي الحظ معروضة الآن في السوق للبيع

٥٠

هبوط الثورة

في ٢٢ تموز ١٨٤٠ . (عن الفرنسوية ص ٥٥٩ - ٥٦١)

الى السيد لوران المستشار والقنصل العام النمساوي في الاسكندرية

حضرة المستشار

١ - جبانة الثوار - تقبلتُ بالشكر البرقيتين اللتين تنازلتم لارسالها في ٢٠ حزيران و ٩ الجاري الحاملتين رقمي ٨٩٣ و٩٦٦ وبادرت الى تبليغ فحوى الاولى منها الى جميع رعايا جلالة الامبراطور

ليسلكوا بموجبها بدقة . ويسرني ان اخبركم ان لا علاقة لاحدهم بالثوار اللبنانيين

اطلعتكم في تقريري المؤرخ في اول الجاري على تفاصيل هذه الثورة . وقد انقلبت من ذاك الوقت بطولة اهل الجبل الى جبانة غريبة . في التاسع من الشهر الجاري وصل من بيروت بطريق البر الفان من الالبانيين وآلاي من المشاة بغنائم وافرة اخذوهـا من قرى الناعمه والمعلقة والجيه ومقصبه . مع ان هاتين الاخيرتين من املاك الامير بشير الخاصة . وسطوا بنوع شائن عـلى الكنائس وتعدّوا حتى عـلى المذابح، دون ان يلقوا ادنى مقاومة . والقوا الاضطراب في صيدا ايضاً . ولحسن الحظ عادوا في اليوم الثالث الى بيروت مع ثلاث فرق من السواري الخامس . وكان الثوار يزعمون ان هؤلاء العساكر جاؤوا بغتةً من بيروت فلم يعلموا بهم . فكنا نتوقع ان يقفوا لهم في عودتهم ويثأروا لدماء مواطنيهم التي سفكوها بدون شفقة . بيد أنهم لم يتعرضوا لهم في الرجوع، بل تركوهم يحرقون كل القرى التي نهبوها في مجيئهم . هذه الفظائع عادت بالفائدة على المصريين، لانها القت الرعب في قلوب اهل الجبل، فانسحبوا من كل الجهات وقصـدوا الى بيت الدين، حيث القوا سلاحهم . فدخل الالبانيون وراءهم اراضي الجبل وامعنوا في النهب والسلب واحرقوا عدداً كبيراً من الكنائس والديورة والقرى

وقد جمعت الحكومة اللبنانية كل سلاح الاهالي تقريباً، ما عدا زهاء الف من الدروز وبعض المسيحيين المعسكرين في ناحية بعلبك . وهم يحاولون الآن دخول اللجاه

اما انا فلم اكن اتوقع خسارة في هـذه الحوادث . ولكنني لسوء الحظ فقدت ما قيمته ٢٦٩٤ غرشاً اتلفه الالبانيون في بستان الياروتي، الذي املكه في الدامور، بالاشتراك مع رئيس دير الناعمه الماروني . وقد اعلمت سعادة القائد العام بهذه الخسارة . ولما كنتُ واثقاً اني لا افوز بالتعويض الا بوساطتكم جئت راجياً ان تعيروا أمري هذا اهتمامكم

٢ – بيلوردي محمد علي – طالعت بارتياح ترجمة بيلوردي سموّ الخديوي، الذي تفضلتم بارساله . وأستأذن في لفت نظركم الى اهمال سموه كلمة « تسريح » والى ان بيلورديـه لم يُبلَّغ الى مدير عكا لانـه يواصل مطالبة مواطنينا برسم جائر على الحبوب التي صدّروها مع انهم سددوا عنها رسوم الجمرك . هـذا لا يقلّل من شكرنا انا ومواطنيّ على المساعي التي بذلتموها في هـذا السبيل، آملين ان لا نضطر في المستقبل الى مضايقتكم بهذا الخصوص

ولما كان مدير عكا وعماله لا يألون جهداً في عرقلـة اشغال تجارنا اضطر وكيلنا في حيفا ان يبعث اليّ بالتقرير الذي ترون طيه نسخة منه

اني مقتنع بما تفضلتم به في كتابكم المؤرخ في ٩ الجاري « ان علينا انتظار حلّ المشاكل المعلقة على شكل من الاشكال قبل العودة الى مشكلة ديوننا على الفلاح » . انما نظراً لخطورة الشكايات التي رفعها وكيلنا خفتُ الاخلال بواجبي لو أجّلت تبليغها الى جنابكم . راجياً ان تسمعوا، في الوقت الذي ترونه موافقاً، لان يوضَع حدّ لهذه الحال التي لم يعد في الطاقة احتمالها

اما ما خص المظالم التي نالت اليهود المستوطنين في صفد وطبريه، فانا منتظر معلومات اوفى لاعرض في صددها الى سعادة سليمان باشا واسأله التعويض عنها

ساكتب الى وكيلنا في حيفا ليفيدني عن اسم الحاج المقتول من بضعة اشهر ووطنه. واذا لم يتوصل الى معرفته ان يسأل عنه سيادة المطران برپتيو(1) لعله يدلي اليه بهذه المعلومات

اعود الى اخبار لبنان لافتاً نظركم الى ان اولياء الشأن هنا يغضّون النظر عن تعديات دروز الشوف على المسيحيين المساكين، مع انهم هم الذين حرضوهم على الثورة. وقد بات مسيحيو سوريا باجمعهم في ذلّ واضطهاد لا مزيد عليهما

٥١

المذابح والنفي

في ٢٦ تموز ١٨٤٠ . (عن الفرنسوية ص ٥٦٢ - ٥٦٣)

الى السيد بطرس لورلّا وكيل قنصل النمسا في بيروت

حضرة الزميل العزيز

تسلمت الرسالة التي تكرمت بها في ١٤ الجاري مع ملحقي ١٥ و١٦ منه . طالعتها بفرائص مرتعشة للفظائع التي ارتكبتها العساكر المصرية في ضواحي بيروت، وخاصة في الديورة . بيد ان دروز جوارنا الخونة، الذين سلّحهم الامير بشير، ليسوا بأحسن سلوكاً

(1) Perpetuo

من هؤلاء . وقد فرضوا على قريتي دير القمر وجزين خمسمائة غرش تقدم لهم يومياً ثمناً للدخان والقهوة . انما دورهم آتٍ، ان شاء الله، عن قريب، ولن يتمتعوا طويلاً بأثمار دسائسهم الشنيعة . ومهما كان الامر فانا اشاطرك الرأي في ان الجبل قد اصبح خراباً

اقاموا هنا الافراح سبعة ايام متوالية لولادة اميرة عثمانية . وعن قليل سيفرضون خمسة عشر يوماً من الزينات للصلح المزعوم الذي عُقد في الاستانة . انا لا اخفي عنكم اني على شك كبير في امره

امس واول أمس وصل الى هنا سبعة امراء . اربعة من اسرة شهاب وثلاثة من اسرة ابي اللمع . قيدوا الى هنا من بيت الدين تخفرهم اورطة من الجنود، وأرسلوا الى عكا بصحبة اربع اورط . وضع هؤلاء التعساء ثقتهم في غير محلها، لانهم لو سافروا في مركب فرنسوي او انكليزي لنجوا بلا محالة

٥٢

معاقبة الثوار

في ٧ آب ١٨٤٠ . (عن الفرنسوية ص ٥٦٤ - ٥٦٦)

الى حضرة السيد ا . لوران قنصل النمسا العام في الاسكندرية

حضرة المستشار

لقد تمّ تقريباً جمع السلاح من اهالي الجبل . اعطى الامير بشير الأمان لسبعة من الامراء المتهمين بالاشتراك في الثورة، اغلبهم من

أخص اقاربه . فجاؤوا من تلقاء انفسهم الى بيت الدين . وحال وصولهم جُرّدوا من السلاح وزُجّوا في السجن . فباتوا ضحايا النكث بالعهود . وفي ٢٧ الماضي مروا بصيدا في طريقهم الى عكا تحرسهم ثلة من الجنود، وسينفوا منها على ما يقال، الى سنّار . وبعد ان سلبهم الامير خيولهم قدّم لهم بغالاً رديئة لركوبهم . لكنهم أجبروا على دخول مدن صيدا وصور وعكا والخروج منها على اقدامهم

جميع الامراء والمشايخ الذين ليسوا في خدمة الامير فقدوا في هذه الحادثة سلاحهم وخيلهم واملاكهم . اما املاك المنفيين الى عكا فقد أعيدت بعد حجزها

حُكم بالاشغال الشاقة المؤبدة على واحد واربعين من اللبنانيين، منهم اثنان وعشرون من الموارنة، وسبعة من الروم واثنا عشر من الدروز . وقد مروا أمس امام صيدا وايديهم مكبّلة بقطع من الخشب وأرسلوا منها الى عكا . والظاهر ان الامير بشير ينتهز هذه الفرصة للتخلص من جميع اصحاب النفوذ في لبنان . فقد دهش الجميع من قبضه على الشيخ محمود نكد وعلى ابنه وابن عمه . مع انهم حافظوا في اثناء الحوادث الاخيرة على اتم الحياد . بل انهم قدموا جلّى الخدمات الى اصحاب السعادة شريف باشا وسليمان باشا والامير بشير نفسه . وسلموا الحكومة كل الرسائل الواردة اليهم من الثوار . فذنبهم الوحيد اذن ثروتهم

وخلاصة القول ان القلق سائد جميع الطبقات والجهات . ولاغلب التجار ديون على هؤلاء المنكودي الحظ، الذين ذهبوا ضحية الدسائس والجشع . وهم مهدّدون بخسارة جميع اموالهم لو دامت الحال على

هذا المنوال . وانا واحد منهم لسوء الحظ . لان جميع المديونين لي إمّا موقوفون او ملاَحقون . ولي عليهم مبالغ تذكر . انا بانتظار سليمان باشا، الذي سافر في ٢ الجاري الى عكا، لافاتحه بأمري، ولي ملء الامل ان تمدوا لي يد المساعدة في هذه الاحوال الحرجة . انكم تعلمون اني جمعت ثروتي بتجارة شريفة . وقد توقف الان دولابها وحُجز القسم الاكبر من مالي في ضواحي عكا . والباقي منه هو ذمم الهاربين او المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة . فان لم تنجدوني بنفوذكم ذهبت كل ثروتي هباء منثوراً

وزّع ولاة الامر العساكر الالبانية على مدن الساحل بين طرابلس ويافا . والاشغال في تحصين عكا عادت الى النشاط والسرعة بعد ان أهملت زمناً . فالحرب اذاً على الابواب

رست من يومين في هذا الثغر بارجة انكليزية مسلحة بثمانية وعشرين مدفعاً، وهي آتية من بيروت . ومنها عرفنا ان المركبين اللذين كانا راسيين منذ شهر في بيروت قد تركاها . الانكليز في استياء شديد من حبوط غاية هذه الرحلة

٥٣

عود الثورة

في ٨ آب ١٨٤٠ . (عن الفرنسوية ص ٥٦٦)

الى السيد بطرس لورلّا وكيل قنصل النمسا في بيروت

البارجة الانكليزية التي رست عندنا من يومين عادت الان الى بيروت . وصل سليمان باشا عائداً من عكا وسيتوجه عن قريب

اليكم . يجمع الامير بشير جميع رجال الشوف ويسلحهم ويرسلهم الى ابنه الامير خليل . هذا يدلنا على ان الثورة لم تنطفئ نارها تماماً كما أُشيع سابقاً . وقد بلغني ان العصيان تجدّد في اللجاه

٥٤

بوادر الحرب

في ١٧ آب ١٨٤٠ . (عن الفرنسوية ص ٥٦٧)

الى السيد بطرس لورّلا وكيل قنصل النمسا في بيروت

كثرت هنا الاشاعات، منذ ثلاثة أيام، عن مهمة المراكب الانكليزية التي جاءت الى بيروت في ١٣ الجاري، واستغرب سكوتكم بهذا الخصوص. لا سيما وان دولة جلالة امبراطورنا، على ما اكد لي بعضهم، متفقة تماماً مع دولة انكلترا. ابعث اليكم بكتابي هذا مع رسول خاص لتطلعوني على حقيقة الحوادث المنتظرة . اذا كان قائد اسطول جلالته ما زال في ثغركم اسألكم ان تنوبوا عني في تقديم الرجاء اليه بان يتوجه الى صيدا لاحظى بالتعرف اليه واتلقى منه التعليمات اللازمة لتأميني ومواطنيّ في الطوارئ المنتظرة

٥٥

الاستعدادات الحربية

في ٣١ آب ١٨٤٠ . (عن الفرنسوية ص ٥٦٨ - ٥٧١)

الى حضرة السيد ا . لوران قنصل النمسا العام في الاسكندرية

حضرة المستشار

تلقيتُ كتاباً من وكيل قنصل النمسا في بيروت يخبرني فيه

ان سعادة سليمان باشا قد بلّغ رسمياً قناصل الدول في تلك المدينة ان سواحل سوريا اصبحت في حالة الحصار وان عليهم ان يطلعوا السلطة العسكرية على كل الجرائم والجنايات التي يرتكبها الوطنيون او الاجانب مهما كانت تبعيتهم . وانها عازمة على تطبيق حكم الاعدام على كل مَن يُدخل الى سوريا كتابات او مناشير داعية الى العصيان، وعلى كل مَن يجلب او يوزع ذخائر حربية او موءناً للطعام دون استئذان السلطة المذكورة . وانها ستنفذ ايضاً حكم الاعدام في كل من تثبت عليه تهمة التجسس او تحريض السكان على الانتقاض، سواء كان ذلك شفهاً ام كتابة ام نقداً. اما الذين يحملون او يخبئون كتابات او مناشير ثورية فتعاقبهم بالسجن من خمس سنين الى عشرين سنة اذا لم يقدموها الى الحكومة المحلية في مدة لا تزيد عن عشرة ايام، تبدأ من يوم الاعلان المذكور . وهذه الاحكام تنفذ دون حاجة الى موافقة قائد جيوش الساحل العام عليها

وقد اسرع جميع القناصل الى الاحتجاج على هذه التدابير المناقضة للعهود الدولية . لاننا لو قبلناها وضعنا جميع رعايانا تحت رحمة السلطة المحلية، ومنحناها حق الحجز حتى على مراسلاتنا الرسمية

في ٢٢ الجاري مر بصيدا اسماعيل بك مدير حلب في طريقه الى بيروت وبصحبته عبد الهادي افندي اخو مدير عكا، ووراءهما من الفين وخمسمئة الى ثلاثة آلاف من مجنّدي النابلسيين، الذين اخذوا يفرّون بالمئات حال وصولهم الى هنا . فاضطر القائد ان يعيدهم الى وطنهم في ٢٩ الجاري . وستوقفهم الحكومة في عكا ريثما تستعيد منهم السلاح الذي سلمته لهم . وقد جاهروا، على ما بلغني، امام قائدهم، انهم لا يحاربون عساكر سلطانهم

سعادة ابرهيم باشا مقيم الان في بعلبك حيث قصد الامير أمين للسلام عليه . ولما عاد الامير امين ذهب الامير بشير لمقابلته، وما زال عنده حتى الآن

تجمع الحكومة بجدّ وعجلة كل الضرائب والحبوب العائدة اليها، حتى المتأخرة وتستخدم لهذا الغرض كل وسائل العنف حتى مع النساء

وصل الى هنا من يومين الاونباشي عمر بيك ليتسلم قيادة الفرق المجتمعة في صيداء، المؤلفة من الآلاي السادس والآلاي الثلاثين ومن خمسمائة ألباني . اما الذخائر الحربية والمؤن المخزنة في قلعة صيدا البحرية فقد نقلت وأودعت الاقبية في داخل المدينة

رست اخيراً في ثغرنا باخرة انكليزية . ولما لم تبرز شهادة صحية من كرنتينة بيروت مُنعت من الاتصال بالمدينة . فاستدعى ربّانها الوكيل البريطاني . وحالما نزل هذا منها اشعلت نارها واقلعت الى جهة بيروت . ولم نعرف شيئاً عن مهمتها

لا شيء مهم غير ما سبق

٥٦

ضرب صيدا

في ٨ تشرين الاول ١٨٤٠ . (عن الفرنسوية ص ٥٤٧ - ٥٧٥)

الى حضرة السيد لوران قنصل النمسا العام في معسكر جونيه[1]

حضرة المستشار

لم يصلني منكم كتاب بعد تقريري الاخير المؤرخ في ٣ ايلول

(١) كانت الدول انزلت عساكرها في جونيه لمساعدة الثوار على طرد الجيش

ولم اعرف بنزولكم في معسكر جونيه الا أمس . وهذا ما منعني حتى الساعة عن ابلاغكم الحوادث الجارية عندنا . وقد رأيت الان من واجبي موافاتكم بما اتصل بي طالباً مشورتكم

لما اطلق الاسطول الانكليزي العثماني المدافع على مدينة صيدا تمكنتُ لحسن الحظ من الهرب بأسرتي وبأثمن ما استطعت حمله، تاركاً في المنزل قوّاسي مصطفى آغا الياغوري . وقد لجأت الى دير مار الياس، الذي يبعد عن صيدا زهاء ساعة . وفي هذه الغضون استولى الحلفاء على المدينة . وكان بعض الجنود قد اختبأوا في منزلي بعد ان خلعوا بابه، فأسروهم وقبضوا على قواسي وساقوه الى جونيه . وعندما تشرفت بمقابلة سمو الارشيدوق تفضل بالسؤال عنه فأجيب انه على ظهر البارجة ميديل[1] يُعالج من ثلاثة جروح اصابته في فخذه . وقد نُهب منزلي على اثر فتح المدينة، بعد ان تعطل كثيراً بقنابل المراكب . وما لم يستطيعوا حمله حطموه كله . وسرقوا حتى علَم القنصلية . وقد رجوت قائد البارجة النمسوية ان يعوّضني منه بغيره فأبى . ولعله كان بحاجة الى اذن حضرة البارون بَنديرا[2] . لو اشتريتم لي علَماً باي ثمن كان، وتفضلتم بارساله اليّ، جعلتموني اسير معروفكم

المصري من لبنان والعود الى طاعة الدولة العثمانية . كما جاء تفصيله في الجزء الثاني من كتابنا حروب ابرهيم باشا . وللسيد لوران تاريخ لهذه الحوادث يحتوي الجزء الثاني منه ترجمة محضر الاب توما الكبوشي في دمشق الذي نشرنا اصله العربي في مجلتنا البطريركية وعلى حدة

(١) Medel

(٢) Bandiera

لم اتمكن من النزول الى صيدا لخراب منزلي، وساعود اليها حالما يتم اصلاحه . وتروني عاجزاً عن موافاتكم بما جدّ في صيدا بعد فتحها وانتم الان اخبر مني بالحوادث . وقد عاد اليها الهدوء، وعلامات السرور بما جرى بادية على وجوه سكانها، و كثيرون منهم يتطوعون . ولولا الخوف من بطش الامير بشير لاقتدى بهم اغلب متاولة الجبل والقسم الجنوبي منه

يوم الثلاثاء الاخير ترك سعادة ابرهيم باشا بيت الدين متوجهاً الى بيروت ومنها الى سهل البقاع حيث لجأ عثمان باشا بعد ان كسره اللبنانيون . وقد ذهب ابرهيم باشا وحده لان ابناء الامير اعتذروا بالمرض عن مرافقته . يتردد على الالسنة ان فرنسا ما زالت، بعد كل ما حدث، مصممة على تأييد محمد باشا وشد إزره في الاحتفاظ بسوريا . وهذا يقلق افكار الجميع . فليفعل الرب ما يراه موافقاً . ومهما يكن من الامر ارجو منكم ان تشيروا علي كيف اتدبر بأسرتي الكثيرة العدد لو نشبت الحرب . انا بانتظار جوابكم بفارغ الصبر

٥٧

تطوّع المتاولة

في ١٠ تشرين الاول ١٨٤٠ . (عن الفرنسوية ص ٥٧٥)

الى السيد لوران في صيدا

نزل امس مشايخ المتاولة للدخول في طاعة الدولة العثمانية وتسلّم السلاح . هذا يحملنا على التفكر لانهم ما احجموا حتى الان الا خوفاً من الامير بشير . أنسب ذلك الى فقدان نفوذه ام الى تبدل طرأ على خطته ؟ ان الايام كفيلة بكشف هذا السرّ

٥٨

نفي الامير بشير

في ١٨ تشرين الاول ١٨٤٠ . (عن الفرنسوية ص ٥٧٦ - ٥٧٧)

الى حضرة السيد لوران في بيروت

حضرة المستشار

يدفعني واجبي الى ابداء ملاحظاتي على الحادث الاخير، اي نفي الامير بشير الى مالطه . لم يتيسر لي قبلًا الكتابة في هذا الشأن لان المهلة التي أعطيت له اولاً اقتُصرت على يومين . اما الان وقد مُدّت الى يوم الخميس فقد انفسح الوقت لتبليغكم هذه الرسالة والوقوف على الجواب قبل سفر الامير . اكرر القول، يا حضرة القنصل، ان خبرتي بالاشخاص الذين قضيت بينهم كل حياتي والاماكن التي قطنتها كل هذه المدة، تفرض علي المصارحة ان هذا التدبير مخالف للسياسة الرشيدة . للامير بشير كما تعلمون منزلة كبيرة لدى سكان كل سوريا، وخاصة اللبنانيين . فقد تولى، فضلًا عن لبنان، جبال النصيرية ونابلس واورشليم وحبرون . فكلمة واحدة منه كافية لاثارة اهالي هذه البلاد، لاسيما وانهم لم يكونوا ينتظرون ان يلقى اميرهم هذه المعاملة بعد ان سلم نفسه للحلفاء . كان يلوح للجميع ان مكانته ضامن كافٍ لسلامة شخصه وحرمة عهده . ولا يخفى على احد ان ابرهيم باشا نفسه لم يتمكن من احتلال سوريا الا بواسطة هذا الامير الكبير . فكان المنتظر من وكلاء الدول الاربع المتحالفة ان ينتهزوا فرصة تسليمه نفسه ليستندوا الى نفوذه

في سبيل غرضهم . كيف يجرؤ الآن بقية زعماء الجبل على التسليم الى الحلفاء، وهم ما زالوا مخيّرين بين البقاء على عهد الدولة المصرية والنفي المحتم، او ما شاكله من التدابير القاسية . لا شك انهم يفضلون ركوب متن الحروب مع ابرهيم باشا آملين بالفوز، على ان يزجوا انفسهم باختيارهم في خطر اكيد

لا يخطر على ذهنكم، يا حضرة القنصل العام، مما أبديته، اني ارتئي اعادة الامير الى منصة الحكم . هـذا بعيد عن فكري . بيد اني ارى في استطاعة حضرات الوكلاء ان يوفقوا بين كل مرامي السياسة، فيتركوا الامير بشيراً في صيدا او في ضواحيها تحت المراقبة الشديدة، ويستخدموا اسمه واسماء اولاده، اصحاب الكلمة الاولى بين الدروز، لاثارة بقية المقاطعات التي ما زالت على طاعة الدولة المصرية . يلوح لي ان هذه الخطة اكثر فطنة واجزل فائدة واضمن عاقبة . ابسط هـذه الاراء تحت انوار حكمتكم واثقاً انكم لا تجدون فيها سوى رغبة صادقة في خدمة المصلحة الوطنية . وقد املاها علي الواجب، والخوف من فوات الوقت لابداء نصيحة خالصة

٥٩

سفر الامير بشير

في ٢٢ تشرين الاول ١٨٤٠ . (عن الفرنسوية ص ٥٧٨)

الى السيد لوران

مساء امس الاربعاء ركب الامير بشير السفينة ومعه كل اعضاء اسرته قاصداً الى مالطه

٦٠

جلاء ابرهيم باشا عن سوريا

في ١٢ كانون الثاني ١٨٤١ . (عن الايطالية ص ٥٨٣)

الى حضرة الكافالير اليانو ده پيتشوتو في حلب

ابدأ رسالتي مشاركاً حضرتكم في شكر المولى على تخلص سوريا المسكينة من حكم الدولة المصرية، الذي جرها الى الفقر المدقع

من خمسة عشر يوماً اخلى ابرهيم باشا دمشق قاصداً الى المزيريب . ويقال ان في نيته التوجّه رأساً الى مصر . ولما كانت هناك اشاعة بأنه يرغب في الانضمام الى القوة المصرية المحاصَرة في غزه، فقد اتخذ العثمانيون كل الحيطة لمنع اتصاله بها

٦١

تهمة انطون كتافاكو

في ٢٧ شباط ١٨٤١ . (عن الفرنسوية)

الى سعادة البارون ده ستورمر في الاستانة المفوّض المطلق لدى الباب العالي

لا اعرف كيف اعبّر لسعادتكم عن دهشتي للشكوى المقدمة علي الى البلاط الامبراطوري باني سلكتُ سلوكاً غير محمود، مسنداً مساعي عمال اجانب رامية الى منع اللبنانيين من العودة الى طاعة سلطانهم الشرعي

غير خافٍ على سعادتكم ما اتاه في حقنا ابرهيم باشا، وكيف كنا، في السنوات الثلاث الاخيرة، عرضةً لمعاكساته ومظالمه . فقد حجز لي انا ولاخي ولابني الفي كيس اي مليون غرش . واصدر اخيراً

الامر الى قواد جيشه في عكا ان يقبضوا على ابني لويس في دير جبل الكرمل لانه حرّض سكان الجوار، وهذا حقيقي، ان ينتقضوا على حكومته ...

٦٢

اغنية تاريخية

هذا ما رأينا تعريبه من سجل انطون كتافاكو ضاربين صفحاً عن بقية ما جاء فيه، مما يدور حول شؤون خاصة به وباسرته

ولا بأس من ان نختم هذه الوثائق بتدوين أغنية يناهز الان عمرها سبعاً وتسعين سنة، ما زالت تتردد على السنة اللبنانيين وجيرانهم. ومصدرها حوران كما يدل مطلعها. وهي تاريخية لاشارتها الى تدخل الدول في اجلاء عساكر محمد علي باشا خديوي مصر عن لبنان وسوريا، والى ما اقامه لهذا الحادث اهل البلاد وخاصة الدروز، من معالم الافراح، غير حاسبين حساباً لما يعده لهم حكم الاتراك العائد من المظالم والويلات. وهم يوقعون هذه الاغنية على الرقصة المشهورة عندهم بالدبكه ومطلعها:

قومي العبي يا بنيّـه   يا فطيم الحورانيّـه

دور

قومي العبي بالدبكه   سبع سلاطين مشتبكه
محمد باشا عَمْ يبكي   عـلى ولايـة سوريا

حريصا في ٢٨ ايلول ١٩٣٧

الخوري بولس قرألي

ORGANE DU PATRIARCAT GREC MELKITE CATHOLIQUE

Les Conquêtes d'Ibrahim Pacha d'Égypte

EN PALESTINE, AU LIBAN ET EN SYRIE

D'après les rapports et correspondances
d'Antonio Catafago,
Consul d'Autriche à St Jean d'Acre et à Sidon
(1831 - 1841)

DOCUMENTS INÉDITS

TRADUITS ET ANNOTÉS

PAR LE

P PAUL CARALI

DIRECTEUR DE LA REVUE PATRIARCALE

1937

IMPRIMERIE
DE St PAUL
HARISSA - LIBAN